سُبُـل إبليـس

سُبُــل إبليــس

جيهــان عجــلان

سُبُـــل إبليـــــس

اسم الكاتبة: جيهـان عجــلان

تدقيق لغوي: فريق عمل المكتبة العربية

تصميم الغلاف: فريق عمل المكتبة العربية

الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم

رقم الإيداع: ١٤٠٩٩ / ٢٠١٨

طبعت بمطبعة الشروق

حقوق التوزيع

للنشر والتوزيع
Arabic Library

Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم الشيخ

فكري حسن إسماعيل

وكيل وزارة الأوقاف السابق - من كبار علماء الأزهر الشريف

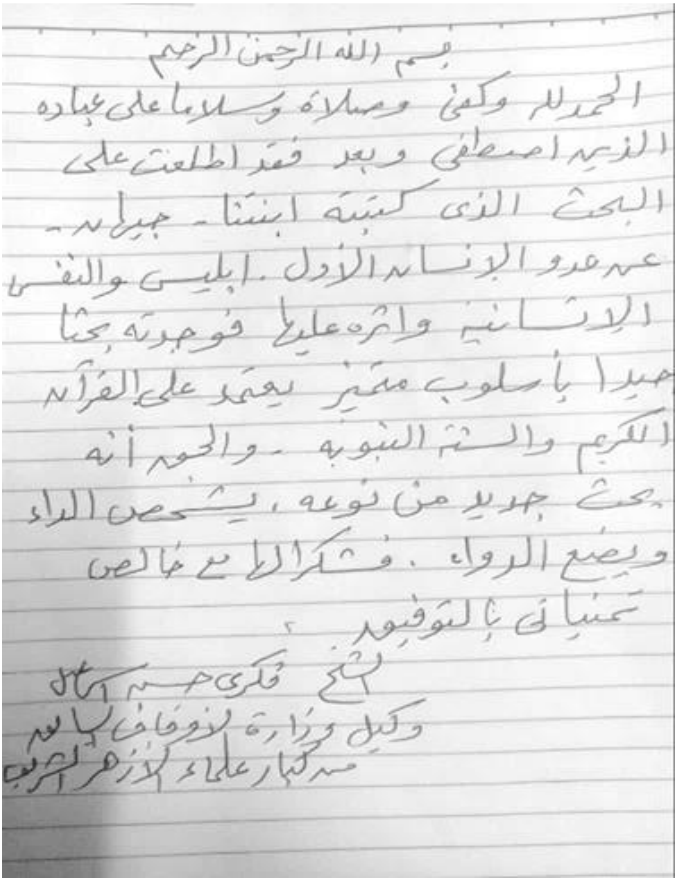
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على عباده
الذين اصطفى وبعد فقد اطلعت على
البحث الذى كتبه ابننا - جبرله -
عن عدو الإنسان الأول . إبليس والنفس
الإنسانية وأثره عليها فوجدته بحثا
جيدا بأسلوب متميز يعتمد على القرآن
الكريم والسنة النبوية . والجميل أنه
بحث جديد من نوعه ، يشخص الداء
ويضع الدواء . فشكرا لابنى مخلص
تمنياتى بالتوفيق

الشيخ فكرى حسن إسماعيل
وكيل وزارة الأوقاف السابق
من كبار علماء الأزهر الشريف

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ(٦)﴾ فاطر

إن الهدف من هذا الكتاب هى اليقظة والعودة؛ بعد التذكرة والتنبيه؛ من عاقبة اتباع سبل إبليس؛ فهو لن يكون لأنصاره نصيرا ،بل سيتبرأ من كل من اتبعوه، وكيف يستطيع الإنسان أن يرواد نفسه الجامحة؛ وصولا للخير والعفة و ابتغاء مراضاة الله ، والبعد عن خطوات الشيطان ، فهو للإنسان عدوا مبينا والذكر الحكيم خير شاهد على ذلك فى قوله تعالى :

"وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) الإسراء

"وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) "إبراهيم

لذلك أردت أن اذكر في هذا الكتاب بعضا من صور إغواء إبليس لأدم وذريته، وكيف كانت عاقبة من اتبع خطوات الشيطان؟.

تمهيد

ما كان خلق آدم إلا لعبادة الله. وتعمير الأرض وقد كان لخلقه أثرا عظيما في نفس الملائكة و إبليس .أطاع الملائكة أمر الله في السجود لأدم ليس لعظمة آدم، ولكن لعظمة الله في قدرته على خلق الإنسان.. إلا إبليس أبىّ واستكبر ولم يطيعا أمر ربه غرورا على مكانته وظنه أنه أفضل من آدم ، وكان لعصيانه عقابا من الله بطرده من رحمته، ومن هنا توعد إبليس ليقعدن لأدم وذريته على الصراط المستقيم، ومن هنا بدأت رحلة إبليس في إغواء آدم حتى يزج به في المعصية، واستخدم سبله حتى جعله يخالف أمر الله كما سبق وفعل هو. فأكل أدم من الشجرة وبعد وجع الوقوع في المعصية التي بدت له من أول لحظة، ولأن الله رحيم غفور عّلم آدم كلمات فتاب عليه ولكن كان لابد من استكمال دور آدم وذريته فى الأرض وبيان ماهية وعيد إبليس. وكانت الأرض موعد اللقاء بين أدم وذريته ووعيد إبليس. وأصبحت رحلة آدم رحلة شقاء تتنازع فيه نفسه الخيرة ونفسه الشريرة، والغلبة في النهاية لقوة الإيمان ولن يفلح إبليس مع عباد الله المخلصين، وقد أكد الحق فى قوله تعالى ذلك:

" قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ[الحجر:40] صدق الله العظيم.

.... لقد كانت بداية الصراع بين الإنسان والشيطان من يوم خلق الله أدم وقال الله عزوجل في ذكره الحكيم:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۝٣٠﴾ البقرة

فهو سبحانه خلَق آدم؛ ليكون في الأرض خليفة ليعمرها بشريعة الله ومنهاجه لا في السماء.

ولقد صوَّر القرآن الكريم بداية هذا الصراع بأبلغ عِبارة؛ إذ أظهر الشيطان ممثلًا للباطل بكلِّ أوصافه وخصائصه، وأظهر آدم عليه السلام ممثلًا للحقِّ بكلِّ أوصافه وخصائصه، والمدقق في العبارة القرآنيَّة يجد أن الصِّراعات التي توالت بين الحقِّ والباطل فيما بعد ما هي إلَّا صدًى و انعكاسا لهذا الصراع الأول بكلِّ أبعاده وملامحه، فقد بذر إبليس منذ اللحظة الأولى بلقائه بآدم بذرة التكبُّر والاستعلاء والغرور و اتِّباع الهوى، التي هي أبعاد الصِّراع بين الحق والباطل، وسنَّ آدم عليه السلام طريقَ الاستقامة والثَّبات

على الحق، و اتباع أمر الله له ولحواء بنزولهما الأرض ليبدئا مهمتهما وهى تعمير الأرض، وتطبيق منهج الله فيها وحسن عبادته .

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ(٥٧﴾ الذاريات

فالمراد بخلقهم للعِبادة خلقُهم على وَجهٍ صالح لأن يَعبدوا اللهَ؛ بجعلهم ذوي اختيار وعَقْل واستطاعة؛ والغرض من خلقهم ليكونوا على جبلة الاختيار وحمل الأمانة؛ وذلك لا يحصل إلَّا بأداء العبادات والإخلاص فيها لله تعالى .

"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٣) الأحزاب

إن الأمانة المذكورة في هذه الآية الكريمة، والتي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، هي" التكاليف الشرعية "، سواء في ذلك حقوق الله تعالى ، وحقوق

عباده، فمن أدى حق الله وحق عباده أثيب بالفوز العظيم، ومن فرط في حق الله وحق عباده استحق العقاب الآثيم.والله عليم بما أقول.

ولما كان الإنسان قد خُلق من أجل العبادة، وعلى طريق هذه العبادة توجد دوائر للإفساد وسفك الدِّماء، هدفها عرقلة هذه العبادة - فإنَّه تعالى وضع أصولَ هذه العبادة في حصن الفِطرة الحصين؛ ليَعبُر الإنسان بفطرته السليمة تلك العقبات، ويصِل بعباداته إلى حيث ينال الثواب؛ فالفطرة شعاع يَهدي صاحبَه إلى طريق النجاة، والفطرة حجَّة بذاتها على الإنسان، تنطق عليه بالحقِّ يوم يقف أمام الله تعالى يوم القيامة .

ويقول الله تعالى :

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا(١٤﴾الإسراء.

صدق الله العظيم

الفصل الأول

خطيئة أدم

في القصص القرآني بسورة البقرة تصوير متكامل لخطيئة آدم و أتباعه لنزغ الشيطان، حيث كانت البداية منذ خلقه في صورته الأولى، وقبل أن تدب فيه الروح وكان جسدا لا حياة فيه، وكلما وقعت عين إبليس عليه يتسائل ما أمر هذا المخلوق العجيب؟ وكان على يقين أن وراء خلقه شأن عظيم؛ وامتلأت نفس إبليس بالحقد والكره؛ لمجرد ورود فكرة شأن آدم عند ربه، وجاء يوم إتمام خلق آدم ومنادة الله لخلقه من الملائكة، وكان بصحبتهم إبليس وقال الله عزوجل كما ذكر في سورة البقرة:

"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" البقرة.

ومن هنا كانت البداية للسؤال عن أمر هذا المخلوق من الملائكة ولكنهم آمنوا بأمر الله لمجرد قوله إني أعلم ما لا تعلمون، ويأتي دور إبليس في الآيات ليجهر بحقده وعصيانه لأمر الله:

" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" البقرة.

فلعنه الله وطرده من رحمته ،واسكن آدم وزوجته الجنة واشتعل حقد إبليس ولما رأى إبليس ما أنعَمَ الله به على آدم؛ من أمر ملائكته بالسجود له، ومن إسكان الله له وزوجه في الجنَّة ؛ حسدهما على ذلك، فبدأ بتنفيذ خطَّته في الانتقام من آدم وزوجه، فكيف بدأ بتنفيذ خطَّته؟

قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ٣٠ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ٣١﴾ الأعراف.

والوسوسة والوسواس حديث النَّفس، والاسم منه الوَسواس بفتح الواو، ويطلق على الشيطان اسم (الوسواس)؛ لأنه يحدث من داخل النَّفس، وهذا أدعى للاستجابة والاندفاع إلى ما تَدعو إليه الوسوسة؛ باعتبار أنَّ الداعي شيء من ذات النَّفس لا من جهة أخرى تأمر وتَنهى وتغري؛ فبهذه الوَسوسة أضلَّ إبليسُ آدمَ وأغراه بالأكل من الشجرة، فالشيطان يَستطيع

أن يصِل إلى فِكر الإنسان وقلبِه بطريقة علمها عند الله، يساعده على ذلك طبيعته التي خُلق منها؛ وهي خاصيَّة تَميَّز بها إبليس والشياطين، من خلال الدخول في النَّفس الإنسانية، فيحدِّثونها بالشرِّ، ويحضونها على فعله؛ باستمرارٍ لا يتخلَّله انقطاع، وبإصرارٍ لا انقطاع فيه إلا بالوقوع في المعصية

ثمَّ جاء النصُّ القرآني ليشير إلى هذه الغاية الشيطانية، إنَّ غايته إيقاعُ آدم وزوجه في مَعصية الله ، قال تعالى: " لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا"٢٠الأعراف: أي: ليُظهِر لهما ما كان مستورًا من العوْرات التي يسوء النفس كشفها، وبانكشافها يستيقن إبليس أنه نجح في إغواء آدم وزوجه واسقاطهما في بئر المعصية.

لقد كان إبليس متلهفًا أن يرى معصيتهما، وهي ظهور سوءاتهما؛ فالوسوسة الشيطانية بدأت بتصوير النعيم لهما في أن يكونا ملكين سكنهما الجنان، أو أن يكونا خالدَين فيما هما فيه من نَعيم الجنة، فبدأت الخطَّة الشيطانية بأن زرَع الشكَّ في قلبيهما حول أمر الله في النهي لهما عن أن يَأكلا من الشَّجرة المحرَّمة، فقال لهما مع ما قدَّم لهما من إغراءاته، ووسوسته ما نهاكما ربُّكما عن الأكل من هذه الشجرة؛حتى لا تكونا ملَكين أو تكونا من

الخالدين، فإبليس لمَّا رفَض السجودَ لآدم، علَّل رفضه بأنَّ عنصر النار بطبيعتها الذاتية أشرَف من عنصر الطِّين.كما ورد بالذكر الحكيم.

" قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) الأعراف

وبدأت رحلته مع آدم من هنا وصور لآدم النعيم لو أكل من الشجرة وانه سيكون هو وحواء من الخالدين، فاتَّخذ إبليس معهما أسلوبَ الخطوات والاتباع، وتصوير المنع لهم بأنه ملك لا يبلى بل هو الخلود ودلهم بغرور ليقعا فى بئر المعصية كما ورد فى قول الله عزَّوجل:

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ) ٢٢الأعراف.

أي: فبعد أن شدَّد الحلف لهما وأكَّد لهما أنَّه لهما لَمن الناصحين، أخَذ يصور لهما هذا النعيم بصورة التشويق والرغبة فى الحصول عليه بأي ثمن ليصل بهما إلى بئر المعصية ؛ ليجعلهما عند شفا حدها تمامًا ليس بينهما إلَّا خطوة الوقوع ، وعندئذٍ يسهل عليه أن يزج بهما زجا في غياهب المعصية .

وظل يتبعهما بوسوسته شيئًا فشيئًا، وهذه وسيلة الشيطان، إنَّها قائمة على أسلوب الخطوات المتتابعات والوسوسة المستمرة ليصل بك إلى الحضيض ، أو إلى الدرك الأسفل من الجحيم.

ونجد هنا العبارة القرآنيَّة ترسم لنا صورة فنيَّة رائعة الجمال، وهي تشبيه عملية الإغواء ذات الخطوات المتتابعات في الانحدار بالتدلية في بئر المعصية، حيث قال عزوجل في كتابه:

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ۲۲الأعراف؛ نعم بغرور أي بمعنى: يخدعه بغرور، ويكلمه بزخرف من القول الباطل.

ونجح إبليس اللَّعين في إيقاعهما في المعصية، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾۲۲الأعراف

أي: فحين أكلا من الشجرة انكشف لهما سوءاتهما؛ إذ كانت مواراة عنهما لا يريانها، وهي العورة؛ لأنَّ في انكشافها سوء لصاحبها؛ ولهذا أوجب

الله تعالى على الإنسان أن يَستر عورته؛ فلمَّا علم آدم وزوجه بانكِشاف عورتيهما، علما أنهما سقطا في بئر المعصية، وسرعان ما دعاهما الحياء بأن يغطِّيا عورتهما بورَق الشَّجر، قال تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ وبعد أن وقع أدم في المعصية وخالف أمر ربه وساعدته حواء التي هي من ضلعه الأعوج ومن أصل تكوينه، وسرعان ما بدت لهم سوأتهما فبدءا يخصفان من ورق الجنة؛ ويسترا عورتهما التي بدت لهما بمجرد أن وقعا في هذا الإثم العظيم ، فماذا يفعلان أمام هذا الجرم العظيم؟ ندم وبكاء ونحيب وصراخ، العفو يا الله و إبليس يضحك ويقهقه؛ ويقول: ذوقا وبال أمركما؛ فلقد لعنت بسببك يا آدم، وطردت من رحمة ربي، و ذهب آدم لربه طالبا العفو والمغفرة لم يتخلى عنه ربه؛ لأنه رحيم وكيف يتخلى الله عزوجل عمن خلق من أجله الدنيا؟ تقبل توبة أدم وبالتبعية حواء بكلمات علمه إياه .. ولكن بشرط النزول إلى الأرض والشقاء والعمل والسعي والتعمير، ومعك إبليس أروني من منكم الأقوى وجاء الأمر من الله بسورة طه بنزول آدم وحواء و إبليس للأرض.

" قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)"طه

ثم يأتي حديث العتاب في سورة الأعراف لآدم وحواء من ربهما:

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ٢٢الأعراف.

وهو نِداء بدأ بالاستِفهام الذي خرَج للعتاب والتوبيخ؛ إذ ناداهما الله تعالى؛ معاتبًا وموبِّخًا لهما، وقال: ألم أنهكما عن أن تَقربا هذه الشجرة، و أقل لكما: إن الشيطان ظاهرُ العداوة لكما، فإن أطَعتماه أخرَجَكما من الجنَّة حيث العيش الرغيد، إلى حيث الشَّقاء في العيش والتعب في الحياة.

وبعد هذا العتاب الربَّاني لم يكن من آدم وزوجه إلَّا الاعتراف لربِّهما بأنَّهما قد ظلما أنفسهما، فهرولا يطلبان مغفرته ورحمته واستعطافه بأنه إن لم يغفِر لهما، ولم يرحمهما فإنهما لَيكونان من الخاسرين حتمًا؛ لأنَّ خطيئتهما تقتضي خسارتهما بمقتضى أحكام العدل الربانيَّة.

قال تعالى:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقد روي أن هذا الدعاء بالاستغفار والتوبة هو الكلمات التي تلقَّاها آدم من ربِّه، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وهكذا تاب الله تعالى على آدَمَ وزوجه.

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]

ثم يأتي العرض مرة أخرى بسورة الأعراف لأمر الله لهما بالنزول إلى الأرض فهي لهما مستقر ومتاع إلى يوم الميعاد؛ وذلك تأكيدا لمهمة أدم وحواء بالأرض.

قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤]،

في هذا الحكم الصادر عليهما وعلى ذرِّيَّتهما الذين سيتناسلون منهما نقل لرِحلة الابتلاء من الجنَّة التي أعدها الله من بداية خلق الدنيا؛ لتكون دار الفوز وأراد الله تعالى أن يذيق ادم فيها حلاوة النعيم، ولكن جبلة الطبيعة التي خلق منها غلبته ليخسر النعم، ويذهب للشقاء باذلا كل الجهد ليعود مرة أخرى للنعيم ،وها هي الأرض التي نحن فيها، والتي جعلها الله سبيل الخلود السَّعيد، ولن يكون ذلك إلا بالعمَل الإرادي الذي يتحقَّق به رضوان الله ربِّ الأكوان، والمهيمن على كلِّ شيء فيها بعلمه وحِكمتِه وقدرته، والمجري إحداثها بقضائه وقدَره وخلقه.

والأمر بالهبوط موجَّه لآدم وزوجه عليهما السلام و إبليس عليه لعنة الله ليوم الدين.

وبدأ آدم وحواء رحلة الشقاء بالأرض بعدما كانا يسكنان الجنة، و ينالا منها كل النعيم بلا جهد، ولا شقاء كانت الجنة تحت قدميهما بكل ألوان النعم، ولكن دائما النفس البشرية تقول: هل من مزيد؟ فاتبعا إغواء الشيطان بملك لا يبلى. ولما كانت الأرض هي موعد ادم لإثبات حقيقة توبته تحمل فيها كل ألوان الشقاء بعد النعيم، وعلم الله ادم في الأرض كيف يحيا

بالبحث عن معطيات البقاء. وهيأ له كل سبل البحث والعون ليبدأ بيديه توفير مقومات بقاءه هو وحواء بالأرض. كان إبليس دائما يسخر منه كلما مر عليه وهو يشقى ليطهر نفسه من المعصية ويبذل قصارى جهده ؛ للفوز برضا ربه مرة أخرى؛ حيث جعل الله الآخرة؛ موعد الصادقين في وعودهم مع الله، لم يسمح أدم لإبليس أن ينال منه مرة أخرى وتمسك بالصبر على الشقاء، و انخرط في مهمته.. ألا وهى تعمير الأرض. واجتهد أدم في تعليم أبنائه كيف يكون منهاج الحياة، وحكمة وجود الإنسان فيها وعلمهم أنها دار زوال والبقاء بعد البعث لمن فاز بالاختبار؛ ليسكن الجنان. فهي جائزة الله لعباده الصالحين، ولكن يا ترى هل يأس إبليس من آدم؟ أم كان عنده سبل أخرى، لم ييأس إبليس وتحول هدفه لذرية أدم فهل نجح إبليس مع ذرية ادم كما فعل من قبل مع أبيهم ؟.....

الفصل الثاني

قابيل وهابيل

لم يفلح إبليس مع أدم بعدما أوقعه في شراك المعصية الأولى والأخيرة أن ينال منه مرة أخرى؛ لأن أدم أخلص في توبته لله وظل يسعى في الأرض لينّفذ ما كلفه الله من مهمة بالأرض، أن يعبد الله حق عبادته، ويعمّر الأرض، ويعلم ذريته تكاليف الوجود ، ولكن إبليس لم ييئس من أدم فتوجه بقوة حقده إلى أبنائه ،ومن نقطة ضعف الإنسان دائما يجد إبليس سبيل وصوله.

فقال تعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(٢٨)إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) المائدة.

عندما نزل أدم ليعمّر الأرض كان لابد له من قانون يحكمه وضعه الله له، وآدم قد تطهر من معصيته، وقانون الله في أرضه واجب التنفيذ، حتى تتعمر الأرض كان لا بد من وجود عناصر من البشر؛ ليكونوا سواعد هذا التعمير؛ فأمر الله آدم أن يزوج ابن البطن الأولى من ابنة البطن الثانية؛ وهذي لحكمة ربي في تنظيم كونه، وما أن أخبر ادم قابيل وهابيل بذلك وهما أول ذكرين لأدم .. تمرد قابيل ورفض وقال :لا أريد بل أريد ما بيد أخي وكان الله قد أمر آدم أن يزوج قابيل من أخت هابيل التي جاءت معه في نفس البطن وكانت قليلة الجمال، وان يزوج هابيل من أخت قابيل التي جاءت معه في نفس البطن، وكانت فائقة الجمال، ولله في قسمته حكم لا يدركها الإنسان إلا بالوقت.. رضي هابيل بقسمته ليس لأن الفتاة التي قسمت له فائقة الجمال ولكن لأنه نصيبه من الله، وذهب قابيل يصرخ لا يا أبي أنى أريد الأخت الأخرى، أفهمه آدم إن هذا قدر الله وقسمته، فلا تتمرد من أمر الله يا قابيل وعرفه العاقبة من العصيان، ولكن إبليس حزم أمتعته، وجلس على باب ضعف قابيل في الدخول والخروج ينادي يا قابيل: لا تسمع كلام آدم كن عند

رأيك وطلبك تمسك برغبتك كيف تتزوج هذه الفتاة القبيحة وهابيل يتزوج الفتاة الجميلة؟

كان سبيل إبليس من نفس قابيل الغيرة، نعم عندما حدثت نفس قابيل بالأفضل كانت فرصة إبليس ليهوى بنفس قابيل إلى المعصية، وظل يلاحقه بكل وقت، وينادي يا قابيل خذ الفتاة التي راقت لك ولا تصغي لأبيك آدم فهو يفضل هابيل عليك، وهنا صمم قابيل على طلبه، وذهب لأبيه آدم مرة اخرى يقول: أبي أني أريد أن أتزوج من الفتاة الجميلة، فقال له آدم: يا بني إن هذا أمر الله فعليك أن تمتثل ولا تعصي ولا تكن كأبيك يوم اتبع خطوات الشيطان، أنه لك يا ولدي عدو مبين، ويهمس إبليس بأذن قابيل لا تسمع له انه يحب هابيل عنك ويريد له الخير ويصغى قابيل لإبليس ويقول لأبيه: لا يا أبي لن أتزوج إلا التي أحبها فيقول آدم أذهب إلى ربك لعله يرضى.

وهنا ذهب قابيل وهابيل يقدما قرباناً يتقربا به إلى الله فهابيل لا يريد أن يسبب لأخيه الحزن، وقابيل يتبع إغواء الشيطان فماذا فعلا؟ هابيل قدم أفضل ما عنده من قربان وقابيل قدم أبخس ما عنده من قربان، تقبل الله

من هابيل علامة لرضا الله عن هذا العبد المطيع لأمر ربه و أبيه، ورفض قربان قابيل.

ولنذكر هنا ملخص ما ذكره أئمة السلف في ذلك، فذكر السدي، عن أبي مالك، و أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة:

أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الأخرى، وأن قابيل أراد أن يتزوج بأخت هابيل، وكان أكبر من هابيل، وأخت قابيل أحسن، فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قربانًا.

وذهب آدم ليحج إلى مكة، واستحفظ السماوات على بنيه، فأبين، والأرضين، والجبال فأبين، فتقبل قابيل بحفظ ذلك.

فلما ذهب قربا قربانهما، فقرب هابيل جذعة سمينة، وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه، فنزلت نار، فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، فغضب، وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين.

وروي عن ابن عباس، من وجوه أخر.

وعن عبد الله بن عمرو، وقال عبد الله بن عمرو: وأيم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين، ولكن منعه التحرج أن يبسط إليه يده.

وذكر أبو جعفر الباقر أن آدم كان مباشرًا لتقريبهما القربان، والتقبل من هابيل دون قابيل، فقال قابيل لآدم: إنما تقبل منه لأنك دعوت له، ولم تدع لي، وتوعد أخاه فيما بينه وبينه، فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي، فبعث آدم أخاه قابيل لينظر ما أبطأ به، فلما ذهب إذا هو به فقال له: تقبل منك، ولم يتقبل مني، فقال: { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } فغضب قابيل عندها، وضربه بحديدة كانت معه فقتله.

وقيل: إنه إنما قتله بصخرة، رماها على رأسه، وهو نائم، فشدخته أى شجته نصفين.

وقيل: بل خنقه خنقًا شديدًا وعضًا، كما تفعل السباع فمات. والله أعلم.

"البداية والنهاية لابن كثير"

وهنا يحدثنا القرآن الكريم عن هذا الموقف العظيم، وكيف وجه آدم ولديه ليقدما قرباناً إلى الله ليفصل في أمرهما.

فالقصة في القرآن تقول أن كلاً من قابيل وهابيل قدَّم صدقة قربة إلى الله سبحانه، فتقبل الله صدقة هابيل؛ لصدقه وإخلاصه، ولم يتقبل صدقة قابيل؛ لسوء نيته، وعدم تقواه، فقال قابيل -على سبيل الحسد- لأخيه هابيل: لأقلتلنك، بسبب قبول صدقتك، ورفض قبول صدقتي، فكان رد هابيل على أخيه: {إنما يتقبل الله من المتقين}، فكان ردُّ هابيل لأخيه قابيل ردًّا فيه نصح وإرشاد؛ حيث بيَّن له الوسيلة التي تجعل صدقته مقبولة عند الله.

ثم إن هابيل انتقل من حال وعظ أخيه بتطهير قلبه من الحسد، إلى تذكيره بما تقتضيه رابطة الأخوة من تسامح، وما تستدعيه من بر، فقال لأخيه: {لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين}، فأخبره أنه إن اعتدى عليه بالقتل ظلماً وحسداً، فإنه لن يقابله بالفعل نفسه؛ خوفاً من الله، وكراهية أن يراه سبحانه قاتلاً لأخيه.

ثم انتقل هابيل إلى أسلوب آخر في وعظ أخيه وإرشاده؛ إذ أخذ يحذره من سوء المصير إن هو أقبل على تنفيذ فعلته {إني أريد أن تبوء بإثمي و إثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين}.

لم يسمع قابيل لنصائح أخيه، وضرب بها عُرْض الحائط، ثم انساق مع هوى نفسه، وزينت له نفسه الإقدام على قتل اخيه هابيل، فارتكب جريمته، فقتل أخاه.

على أن قابيل القاتل لم يكتف بفعل تلك الجريمة، بل ترك أخاه ملقى في العراء، معرضاً للهوام والوحوش، ولكن بعث الله غراباً يحفر في الأرض حفرة ليدفن تلك الجثة الهامدة التي لا حول لها ولا قوة من البشر، فلما رأى قابيل ذلك المشهد، وأخذ يلوم نفسه على ما أقدم عليه، وعاتب نفسه كيف يكون هذا الغراب أهدى منه سبيلاً، فعض أصابع الندامة، وندم ندماً شديداً، فقال عندها قابيل:

كما ذكر القرآن الكريم :(فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) (٣١) المائدة

أنه شعور الندم الذي يقتل النفس الخيرة بالأصل وهى النفس اللوامة، إبليس لن ينصفك أبداً وقت تحتج عليه بأنه سبب وقوعك في المعصية وورد في كتاب الله عزوجل الدليل على ذلك في قوله تعالى:

"كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦)الحشر

وما زال إبليس يتبع ذرية ادم لحقده وكرهه لآدم وذريته .

الفصل الثالث

إخـــوة يـوســف

ويستمر إبليس في سبله من جيل لأخر؛ ليحقق مآربه من ذرية أدم التي توعدها بالهلاك، والخروج من رحمة الله كما كان مصيره؛ لكفره وعصيانه، وكان هدفه دائما الصفوة من البشر فإخوة يوسف أولاد يعقوب النبي، وإبليس هنا يريد أن يعلن قوته وأنه الأفضل فلم يكن أحفاد آدم بالنسبة لإبليس أفضل من أبنائه فكلهم من طينة آدم ولأن إبليس يرى نفسه دائماً الأفضل لأنه خلق من النار كما صور القرآن الكريم غروره:

"قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ(١٨)" الأعراف.

هذا هو الوصف القرآني لموقف إبليس، وهنا يتسلل إبليس مرة أخرى؛ ليكون صيده ثمين فمن هم هذا الصيد الثمين إنهم أبناء يعقوب، وإخوة يوسف فكيف تسلل إليهم إبليس؟ عندما ظن أبناء يعقوب أن أباهم يفضل يوسف وأخيه الصغير عنهم؛ حيث كانا أصغرا أبناء يعقوب وما كان ود ورحمة يعقوب بهما إلا لصغر سنهما وأنهما مهما طال عمر يعقوب لن ينالا من حنانه وعطفه كما نال أبناؤه الأكبر سناً؛ لهذا كان حب يعقوب زائد ليوسف وأخيه بنيامين. يعقوب نبي الله يعلم سريرة أبنائه يعلم طينتهم إلى أين ستذهب بهم؛ ويعلم أن النفس لأمارة بالسوء؛ لذلك حذر يعقوب يوسف وقال له كما ورد بالقرآن عندما قص رؤياه على أبيه "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥) يوسف.

فيعقوب يعلم جيداً موقف إبليس وتدبيره، وأنه والنفس الأمارة بالسوء لصحبة.

وكلما كان صدى تصرفات يعقوب مع يوسف وأخيه تزيد غيرة أبنائه الأكبر سناً يزيد إبليس الغيرة والحقد بوسوسته المستمرة عليهم، وصور

القرآن الكريم موقف إخوة يوسف في بلاغة قرآنية رائعة "لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) يوسف

اقتلوا يوسف، أو اطرحوه أرضا؛ يخل لكم وجه أبيكم، هكذا كانت وسوسة إبليس لأخوة يوسف؛ ليكون أبيكم خالصاً لكم دون يوسف وبدأ إبليس يبذل جهده لينال غرضه من إخوة يوسف فصور لهم تخطيطه الشيطاني لينالوا من يوسف ذهبوا إلى أبيهم وجهزوا عرض تمثيليتهم ليصحبوا يوسف معهم فقالوا كما ورد بالقرآن:

" قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (١٤) يوسف.

صوروا ليعقوب مدى حرصهم على يوسف حتى يأمن لهم على يوسف، وبالفعل نفذ إخوة يوسف خططهم التي رسمها لهم إبليس وألقوا بيوسف في غياهب الجب ولم يرف لهم جفن حزنا على أخيهم؛ وعادوا ليعقوب، ولم يكن معهم يوسف لتكتمل كذبتهم؛ وقالوا وهم يبكون ويصرخون يا أبانا يوسف أكله الذئب "وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨) يوسف

كان رد يعقوب صريحًا عندما قصوا عليه كذبتهم بل سولت لكم أنفسكم نعم أنها النفس الأمارة بالسوء فهي ساعد إبليس، فيعقوب ينفى ويرفض بقلبه وعقله ما يقولون وقال لهم: صبرا يا أبنائي، والله المستعان على ما تصفون. يا ترى هل حزم إبليس أمتعته ورحل فقد نال ما تمنى؟، أن يعصي إخوة يوسف ربهم و أبيهم النبي ويقتلوا نفساً بغير حق، لا لم يتوقف كيد إبليس. ولكن عناية الله صاحبت يوسف حتى أصبح في دار عزيز مصر وتربى فيه ليكابد يوسف ملحمة الصبر على الشدائد ويواصل إبليس مكائده

مع يوسف ليأتي دور امرأة العزيز زليخة التي شغفها حب يوسف، وتنسى زليخة مكانة يوسف منها بغشاوة تحجب عن قلبها الحق، وتراوده عن نفسه، وهنا الفرق. يوسف محصن بالإيمان والخشية ومعية الله للعبد الصالح يوسف هو ممن ينطبق عليهم الوصف القرآني بسورة ص:

" قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) ص.

إذن الإخلاص في عبادة الله وطاعته طوق نجاة من الوقوع في براثن الشيطان يأبى يوسف أن يطيع شيطان نفس زليخة الأمارة بالسوء ويقول كما ورد بكتاب الله محصناً نفسه أكثر وأكثر من هذا الشيطان الغاشم القادم عليه بمخلاب الرغبة واللاوعي "وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ(٢٤) يوسف.

انه قول فصل وما هو بالهزل قال فيه الله عز وجل: إنه من عبادنا المخلصين من كان مع الله فهو حسبه، واصل إبليس كيده متكئا على نفس زليخة الأمارة بالسوء ويؤيد لها أفكارها الشيطانية للانتقام من يوسف، ولكن هيهات لمن بمعية الله لن يقدر على نفسه المطمئنة إبليس، ويخرج يوسف من كيد إلى كيد، والله دائما ينصره؛ ليصبح بعد صبر عظيم عزيز مصر لتكتمل قصته مع إخوته مرة أخرى، وتكون الغلبة هذه المرة ليوسف وكيد المؤمنين، وهنا يتصدر القول سؤال أللمؤمنين كيد؟ نعم، من عصمه الله من كيد الشيطان بإخلاصه جعل له أسباب خلاص من هذا الكيد ودبر له معطياته وذكر بالقران الكريم " فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) يوسف

فقال رب العزة كذلك كدنا ليوسف؛ وما كان ذلك إلا تدبيراً من الله ليجمع الله يوسف وأخيه بنيامين ثم يأتي بهم جميعا ليعقوب ليصدق قوله ويفوز بصبره كما جاء بذكر القرآن.

"ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) يوسف

ويرد الله أبناء يعقوب إليه يوسف وأخيه بنيامين وهم أهل ملك وعز هؤلاء من أرد بهم الشيطان الكيد وكانوا مع الله مخلصين ولم يبقى إلا ندم أخوة يوسف على اتباعهم كيد إبليس كما ذكر بالقرآن الكريم " قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) يوسف.

ويتوبوا إلى الله جميعا ويخسر إبليس ليصبح مرة اخرى من النادمين

الفصل الرابع

إبليس وامرأة العزيز

عندما أرادت امرأة العزيز أن تذل قدم يوسف للمعصية، وما كان فعل زليخة إلا لنزغ الشيطان وضربه على أوتار ضعفها ورغبتها؛ حتى ينال من يوسف، فامرأة العزيز قد كانت لا تنجب بسبب عقم زوجها، فلما جاء العزيز بيوسف عندما اشتراه قال لامرأته:

"وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) يوسف

ولما كان يوسف يتمتع بجمال باهر وحسن في الخلق والخلقة ، فتنت به وأحبته حباً شديداً، و أخذت تتقرب منه و تبدي له حبها، إلا أن يوسف عليه السلام كان دائماً يعرض عنها امتثالاً لأوامر الله وخوفاً من عصيانه اشتد هيام هذه المرأة بيوسف، وهاج بها الغرام لدرجة أنها راودت يوسف في

حجرته، إلا أن يوسف أبى و أراد الخروج من المكان، فمزقت له ثوبه من الخلف، و عندما وصل إلى الباب و فتحه وجد زوجها عند الباب، و قد وصف ذلك الموقف في القرآن الكريم في الآيات التالية من سورة يوسف:

(وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) يوسف

صارح يوسف عليه السلام زوج المرأة بالأمر، وفي تلك الأثناء، دخل رجل لبيب و فطن، و عندما علم بالقصة بين أنه ليبان الحق سيرون قميص يوسف إن كان قد شق من الخلف، فهو صادق و هي كاذبة، و إن كان قد شق من الأمام فهي الصادقة ويوسف من الكاذبين، إلا أن الواقع كان أن القميص قد شق من الخلف، مما يدل على أن امرأة العزيز هي من راودت يوسف و لاحقته، و قد بينت الآيات الكريمة من سورة يوسف ذلك بما يلي:

هِيَ رَاوَدتْنِي عَنْ نَفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) يوسف.

شاعت هذه القصة بين نساء المدينة، فتحدثت كل النساء عنها بالسوء و تعجبن للأمر، فأرادت امرأة العزيز مقابلة كيدهن بكيد ومكر أعظم، فأعدت لهن حفلاً وهيأت لهن الأرائك وقدمت لكل منهن صحناً من الفاكهة مع سكين، و بعد ذلك أمرت يوسف بأن يخرج عليهن، فسحرت جميع النساء بجماله و حسن خلقته لدرجة أنهن قمن بتقطيع أيديهن بالسكين، فقد جاء في الآيات الكريمة:

(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ

كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) يوسف

عندما تمثلت له زليخة في حل الزينة والأغراء والرغبة قال معاذ الله استعاذ بالله من الشيطان الرجيم وتذكر فضل سيده كيف يخونه في أهله بعدما أواه وأحسن تربيته، وهنا لم تفلح خطوات الشيطان لأنه من عباد الله المخلصين؛ إذن فالإخلاص واجب في عبادة الله؛ للنجاة من الوقوع في حبائل الشيطان و اتباع خطو اته.

من أين يتخلق الإنسان بالخلق الكريم والتقوى؟؛ من القرأن وقصصه الكريم، فقصة يوسف من أحسن القصص؛ والقَصص هنا بالفتح: هو النبأ والخبر، ويقولون هي أحسن الأخبار والأنباء لما اشتملت عليه من مواعظ وعبر وتهذيب وتأديب.

واختلف العلماء لم سميت هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأقاصيص؟ فقيل: لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة؛ وبيانه قوله في أخرها: لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب. وقيل: سماها أحسن القصص لحسن مجاوزة يوسف عن إخوته،

وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم - بعد الالتقاء بهم - عن ذكر ما تعاطوه، وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: لا تثريب عليكم اليوم. وقيل : لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين، والجن والإنس والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك، والتجار والعلماء والجهال، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن، وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا. وقيل لأن فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما. وقيل: "أحسن" هنا بمعنى أعجب.

وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص لأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة؛ انظر إلى يوسف و أبيه وإخوته، وامرأة العزيز؛ قيل: والملك أيضا أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعبر الرؤيا الساقي، والشاهد فيما يقال: فما كان أمر الجميع إلا إلى خير. وذكر القرأن فيها جملة القول في حسنها.

"نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ" (٣) يوسف

ألم يجعل الله في القرآن شفاء للعالمين؟؛ شفاء من كل داء للنفس التي تجنح بعيدا عن درب المؤمنين، الذين جعلهم الله من صفوة عباده وسماهم عباد الرحمن، عليك أيها الإنسان المسلم أن تتحصن بالقران لتفوز فوز المؤمنين وتكون من عباد الرحمن.

الفصل الخامس

إبليس والنفس البشرية

لم يكن عرضنا السابق إلا تمهيدا لهذا الفصل الذي نوضح فيه ماهية إبليس و النفس البشرية.

أولاً: من هو إبليس الذي أخرج آدم من الجنة، وصور لقابيل المعصية فوز، وأعان أخوة يوسف على مخططهم للتخلص منه؟

معنى كلمة إبليس في اللغة العربية هو من الفعل بَلَسَ (بمعنى طُرِدَ)، عندها يكون معنى إبليس هو"المطرود من رحمة الله".

ولكن العديد من اللغويين يجمع على أن معنى الفعل هو "يئس" وبالتالي يكون المعنى "الذي يئس من رحمة الله"، ولفظة إبليس كذلك تأتي في معنى الضلال، الدهشة، السكوت، وكثيرة هي الأحاديث التي تدل على أن اسم إبليس مشتق من الإبلاس وقد ورد فى معنى الشيطان ايضا أن الشيطان مُشتق من " الشَطَنْ " و معناه في الأصل هو البعد، و يُطلق الشيطان على كل

بعيدٍ عن الخير، و على كل من طالَ مكثُهُ في الشَّر، كما يُطلق على كل عاتٍ متمردٍ خبيث، سواءً كان من الجن أو الإنس أو الدواب.

وهو من الجن اي مخلوق من النار "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) الكهف والشياطين ابناء ابليس و الإبلاس: الحزن المعترض من شدة البأس، يقال: أبلس، ومنه اشتق إبليس.

ما الفرق بين الشياطين والجن؟

هم من جنس واحد فجميعهم مخلوقين من النار ولكن الجن منهم مسلمون ومنهم كافرون قال تعالى على لسان الجن:

(وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا . وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا(١٤) الجن.

واما الشياطين فجميعهم كفار .. قال تعالى (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ (١٠٢) البقرة وكفرهم ناتج من اتباعهم لكفر ابهم ابليس .. واما مسلمي الجن كانوا اكثر حظآ ورشدآ منهم و اتبعوا محمدآ ﷺ وهو خلافهم

اي من البشر ولم يتكبروا مثل الشياطين الذين لايؤمنوا اصلاً بأفضلية البشر عليهم.

"قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)"الجن

فإبليس خُلق من نار كما يقول الله في القرآن الكريم كسائر الجن، وكان يعبد الله مع جملة الملائكة، إلا أنه كان يُخفي نزعته إلى التمرد والعصيان حتى أمره الله بالسجود لآدم مع الملائكة فأبى وأستكبر على أمر الله، "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" البقرة، الآية ٣٤، وعلل عصيانه بقوله: " أنا خير منه، خلقتني مِن نارٍ وخلقته من طين"، وطلب من الله أن يمهله إلى يوم الدين كي يغوي آدم ويغوي ذريته. فلُعن وطُرِد من السماء. وأصبح عدوًا لبني آدم إلى يوم البعث، يوم يحشر البشر والجن أجمعين. يقول الله تعالى في القرآن أن إبليس أقسم على غواية بني آدم أجمعين، وأنه لهم عدو مبين، وإبليس جني وهو الشيطان، وكان الجن يسكنون الأرض قبل أن يسكنها البشر، فأفسدوا فأهلكهم الله، إلا إبليس فإنه آمن، فجعله الله في جملة الملائكة في الملأ الأَعْلَى لم يكن إبليس من

الملائكة لأنه ليس ملك، و إنما كان من الجن العابدين لله في الأرض فكرّمه الله سبحانه برفعه للملأ الأعلى مع الملائكة؛ لأن إبليس مخلوق من نار، خلافاً للملائكة الذين خلقهم الله من نور. وهو أصل البقية الباقية من الجن كما أن آدم أصل البشر.

فلقد كان إبليس من الجن العابدين لله في الأرض، ومن عبادتهِ لله كرمهُ برفعهِ في الملأ الأعلى، والدليل على ذلك كما ورد في القرآن: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنْ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) ٥٠الكهف.

لذلك علل العصيان في الآية لأنه من الجن بينما الملائكة لا يعصون ربهم أبدا، وبالتالي عصى الله بامتناعهِ عن السجود لآدم لأنه من الجن.

فلمَّا طَرَدهُ الله من رحمته طلب أن يُنْظر إلى يوم القيامة وتوعد آدم وذريته " قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ

(٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) الحجر.

هذا هو أبليس كما ذكره القرأن الكريم، ولكن لم يكن له سلطان الفعل والتنفيذ على آدم وذريته وسيتضح ذلك من العرض التالي:

ثانيا :ـ ماهية النفس البشرية:

وسوف نوضح فى السطور التالية ماهية النفس البشرية، ومدى تأثير إبليس عليها، وقد أوضحنا سابقاً كيف كان لإبليس سبل أي طرق، ولا تكون السبل والطرق إلا بوجود منفذ لها وهنا تتضح ماهية النفس البشرية

ما هي النفس البشرية في القرأن الكريم ؟

" وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨)قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(٩)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(١٠) الشمس.

إذا النفس مخلوق بها جعل الله ميكانيكية الحياة في الجسد البشرى وهى نفس واحدة لها خصائص وصفات تحملها في بوتقة واحدة ولكن بقانون وحساب وتمييز.

وتصنف النفس طبقا لعملها بهذا القانون والحساب والتمييز فنجد النفس المطمئنة ،والنفس اللومة ،والنفس الأمارة بالسوء وذكر القرأن هذا التصنيف للنفس "وأولها النفس المطمئنة في قوله تعالى:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة(٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩)﴾القيامة

ثم يذكر القرأن الصنف الثاني وهى النفس اللوامة

" لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)"القيامة"

ثم يأتي ذكر الصنف الثالث وهى النفس الآمارة بالسوء

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)﴾يوسف

وبهذا العرض التوضيحي لأنواع النفس البشرية نكون قد علمنا أن النفس البشرية هي بالفعل ثلاث أنواع نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة بالسوء، وسيأتي الآن بيان موقف إبليس من الإنسان كما وضحه القران الكريم.

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)إبراهيم

سيتبرأ إبليس ويقول بأعلى صوته: فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، لولا إنكم في أنفسكم تريدون الكفر والمعصية وتميلون إليهما، ما كنت قادرًا على إغوائكم فلا تلقوا باللوم علي فليس لي سلطان عليكم إني كفرت بما اشركتمون، ولكن يجب أن نعلم جيدا إن للشيطان جنودًا وأعوان.. هم شياطين الإنس والجن وأولئك هم الذين اتبعوه و اتخذوا منهجه، وأصبح لهم قرينا أي ملازما يدفعه دائما إلى الشر الذي تحدثه به نفسه الأمارة بالسوء فإبليس قرين السوء، فدائماً قرناء السوء يساعد بعضهم بعض على اقتراف الإثم والمعصية، ولكن لن يفلح الشيطان إلا مع من كانت نفسه أمارة بالسوء، فهو لن يفلح مع المؤمنين فقد حاول من قبل مع صفوة خلق الله من الرسل قبل أن يبلغوا برسالة ربهم فها هنا نجد ذكر القران الكريم لموقف موسى عليه السلام عندما وكز الرجل.

"وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) القصص

وهذا دليل من القران بأن الأنبياء رغم أنهم معصومون ...هذا لا يعني أنهم ممنعون من جهاد النفس، فلهم نفس بشرية فيها نوازع وشهوات،يتغلب عليها بجهاد النفس، وإذا لم يكن لنفوس الأنبياء ما لأي نفس بشرية من صفات ورغبات ومآرب؛ لكانوا ملائكة؛ ولكنهم من ذوي النفوس الخيرة المطمئنة؛ فقد جعلهم الله قدوة للمؤمنين في كفاح الشيطان، وكفاح النفس؛ والتغلب عليهما فهؤلاء هم أولي العزم؛ العزم في طاعة الله ومحاربة الشيطان، فموسى عليه السلام عندما ضرب الرجل الفرعوني، ووكزه كان دفعا عن الذي من شيعته وهو من بني إسرائيل، ولكن موسى لم يقصد قتله ولكن دفعه الشيطان لذلك وهمس له بشيطانية اقتله اقتله يا موسى؛ فوسائل الشيطان في الإغواء كثيرة؛ فمنها النزغ ومنها الهمز، ومنها الوسوسة، والنزغ في اللغة هو النخس، فيدخل الشيطان خاطرا مهيجا إلى نفسك؛ فيثير فيها

الغضب .. ويجعلك تتصرف تصرفا أحمق لا يتفق مع العقل ولا مع الدين، لهذا كان غضب موسى من الرجل الفرعوني هو سبيل الشيطان للدخول إلى نفسه حتى تهيج فيه الغضب بفعل الشيطان، ووكز الرجل، ووقتها كان موسى لم يكلف برسالة ربه بعد .. ولكن كان فيه من التقوى والإيمان؛ الذي تجعله يتنبه في الحال أن ما فعله من عمل الشيطان.. واتجه إلى ربه طالباً المغفرة والتوبة من الله؛ فهذا عهد النفس اللوامة مع الله لأنها درجة من درجات النفس المطمئنة تعود سريعا طالبة العفو والمغفرة من ربها، لهذا حذرنا الله تعالى من نزغ الشيطان وأمر الإنسان أن يتحصن من هذا النزغ بالاستعاذة من الشيطان في قوله تعالى "وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) فصلت.

الفصل السادس

عابد بني إسرائيل (برصيصا العابد) وإبليس.

وهناك مواقف عديدة لإبليس لنزغ النفس البشرية فنجد إبليس مع عابد بني إسرائيل "برصيصا العابد"، فقد بذل إبليس قصارى جهده ليفوز فدخل له من باب ورعه وتقواه وفى السطور القليلة القادمة سنرى سويا كيف استطاع إبليس أن ينال من هذا العابد.

برصيصا العابد هو عابد بني إسرائيل الذي وصف بأنه أعبد أهل زمانه، إلا أن نهايته كانت على الكفر بأن أطاع الشيطان حتى سجد له، وقد وردت قصة برصيصا العابد في تفسير ابن كثير والطبري تفسيرًا للآية:

" كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" الحشر:١٦

قصة برصيصا العابد ، براوية عبدالله ابن عباس. ورواية لعبدالله ابن مسعود.

برصيصا الراهب برواية عبدالله بن عباس:

روى ابن جرير عن عبد الله بن عباس قال: كان راهب من بني إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته، وكان يؤتى من كل أرض فيسأل عن الفقه، وكان عالمًا، وإن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت ، وإنهم أرادوا أن يسافروا،وحار بهم أمرهم اين يتركوها فقال لهم أحدهم: أدلكم على من تتركونها عنده؟ قالوا: من هو؟ قال: راهب بني إسرائيل، إن ماتت قام عليها، وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه حيث أنها كانت بها علة.

فعمدوا إليه فقالوا: إنا نريد السفر، ولا نجد أأمن منك على أختنا فلنجعلها عندك امانة وهى بها علة ونعلم ان بك من الخير الذي يعينك على شفاءها فقال : أكفيكم إن شاء الله، فانطلقوا فقام عليها فداواها حتى برأت، وعاد إليها حسنها، فاطلع إليها فوجده بها جمالا

فلم يزل به الشيطان يزين له أن يقع عليها حتى وقع عليها، فحملت، ثم ندمه الشيطان فزين له قتلها، قال: إن لم تقتلها افتضحت وعرف شبهك في الولد، فلم يكن لك معذرة، فلم يزل به حتى قتلها، فلما قدم إخوتها سألوه ما

فعلت؟ قال: ماتت فدفنتها، قالوا : قد أحسنت، ثم جعلوا يرون في المنام، ويخبرون أن الراهب هو قتلها، وأنها تحت شجرة كذا وكذا.

فعمدوا إلى الشجرة فوجدوها تحتها قد قتلت، فعمدوا إليه فأخذوه، فقال له الشيطان: أنا زينت لك الزنا وقتلها بعد الزنا، فهل لك أن أنجيك؟ قال: نعم، قال: أفتطيعني؟ قال: نعم قال: فاسجد لي سجدة واحدة، فسجد له ثم قتل.

برصيصا العابد برواية عبدالله بن مسعود:

روى ابن جرير، عن عبد الله بن مسعود قال: كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجَر بها، فحملت، فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدق يسمع قولك، فقتلها ثم دفنها.

وقال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجَر بأُختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم

أم أترك؟ قالوا: بل قصها علينا، قال، فقصها؛ فقال الآخر: وأنا والله قد رأيت ذلك، فقال الآخر: وأنا والله رأيت ذلك، قالوا فوالله ما هذا إلا لشيء.

قال، فانطلقوا، فاستَعْدُوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه، ثم انطلقوا به، فلقيه الشيطان فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه، قال، فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فالله أعلم

برصيصا الراهب مثال سوء الخاتمة:

على الرغم من إيمان الراهب وتعبده وزهده إلا أن ذلك لم يمنعه من سوء الخاتمة، ولعل الثغرة في أمر برصيصا هي الزلة الأولى التي بها هوت قدمه في قاع الرزيلة، فلو انه لم يتهاون منذ البداية وصد الشيطان عنه ولم يترك له فرصة، لما صار مضرب المثل في سوء الخاتمة، لكن بمجرد التنازل لمرة واحدة صارت سلسلة من التنازلات أدت به للموت على الكفر بأن سجد للشيطان والعياذ بالله، فاحذر سوء الخاتمة.

هذه كانت نهاية اتباع خطوات الشيطان، فهو يبدا بحديث النفس، ويلح عليها وإن أبت استخدم كل جنوده لينال منك ولا يقهر الشيطان إلا ممن اتقى؛ لهذا حذرنا الله تعالى من خطوات الشيطان فى القرآن الكريم.

فقد حذرنا الله من خطوات الشيطان؛ لانه يامر بالفحشاء والمنكر، ولكن رحمة الله تنال من يشاء من عباده المؤمنين المتقين...وهل معنى ذلك أن هذا العابد لم يخلص فى عبادته لله؟ بلى، ولكن ألم يكن الشيطان ابتلاء؟

بلى و ابتلاء عظيم ولكن لن يقوى علي دفع كيد الشيطان إلا المؤمن القوي الذي مهما بلغت الشهوات ذروتها، وتمثلت له فى حل جميل اتقى الله وتحصن بذكر ربه.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) النور.

الفصل السابع

مواقف لبني إسرائيل كسواعد للشيطان

مو اقف اليهود التي سجلها القرآن الكريم كثيرة لا حصر لها؛ لتكون شاهدا عليهم وعاريلحق جبينهم لقيام الساعة ويكون حجة عليهم لكل مؤمن مبصراً للحق؛ لتعلم البشرية جمعاء مبلغ عناد وتمرد اليهود في تعاملهم مع خالقهم سبحانه وتعالى ومع أنبيائهم ورسولهم، وكيف استخدمهم الشيطان كعون له؛ ليحقق مآربه من بني آدم، وكيف عاقبهم الله، بأن لعنهم وجعل منهم القردة والخنازير، وتوعدهم بسوء العذاب في الدنيا والآخرة. ولم يكن ذكر بني إسر ائيل بهذه الصورة المتكررة في القرآن الكريم إلا لحكمة عظيمة، هي تعريف أمة الحق المبين بنفسية اليهود وأخلاقهم؛ لتكون على حذر وحيطة عندما تتعامل معهم، فلا تغتر بعهودهم ولا بمو اثيقهم، وأخذ العبرة والعظة مما آل إليه أمر اليهود من مقت الخالق سبحانه لهم، ولعن الأنبياء إياهم، وبغض الخلق لهم، وما ذلك إلا نتيجة عصيانهم، وتكبرهم، وعنادهم، وتمردهم على خالقهم سبحانه، ورسله الكرام، فهم قوم جحود، والجحود هو الإنكار مع العلم الواضح وضوح العين لهم، فلقد جحد اليهود نِعَم الله -

تعالى - وكذبوا آلاء الله التي أخرجتهم من ظلمات الباطل إلى نور الحق المبين، وأنجتْهم من سوء العذاب. وقد تجسَّدت تلك النعم في معجزات وخيرات عاينها اليهود، ونعموا بآثارها الطيبة، ولكنهم - برغم ذلك- جحدوها جحودًا لم يأتِ بمثله قومٌ من قبلهم أو من بعدهم. ونرى دلائل الجحود حين نقرأ في سورة البقرة عن نِعَم غامرة، جحدها اليهود وكذَّبوا بها، وهم يعلمون سوء فعلهم، حيث أنجاهم الله-تعالى-من آل فرعون الذين ساموهم سوء العذاب، فذبَّحوا أبناءهم، واستحْيَوْا نساءهم، ففلق الله-تعالى-لهم البحر، حتى ظهرت لهم الأرض اليابسة فمشوا عليها، وبذلك نجوا من آل فرعون الذين تتبعوهم يريدون الفتك بهم، ورأوا بأعينهم آل فرعون وهم يغرقون، ثم أنعم الله عليهم بأن واعَدَ موسى أن يعطيه التوراة بعد أربعين ليلة، وفيها هدى لهم ورحمة، ولكنهم جحدوا تلك النعم، فاتَّخذوا العجل إلهًا حين ذهب موسى للقاء ربه، وبرغم ذلك الجحود عفا الله عنهم؛ لعلهم يشكرون، ويستمر عرض جحودهم بسورة البقرة من موقف لآخر وسوف نعرضه فى السطور التالية بشواهد القرآن على أفعالهم وأخلاقهم؛ لنبين حقيقة هؤلاء لكل مؤمن موحد بدين الله الحق.

بنو إسرائيل ينكرون ما جاءهم بين إيديهم
بعدما تبينوا أنه الحق من ربهم

كانت اليهود يستفتحون على كفار العرب، يقولون: أما والله لو قد جاء النبي الذي بشر به موسى وعيسى، وهو أحمد، لكان لنا عليكم! وكانوا يظنون أنه منهم، والعرب حولهم، وكانوا يستفتحون عليهم به، ويستنصرون به. وكانوا يقولون: اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس، يستفتحون ويستنصرون به على الناس. فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وحسدوه،وذكر القران فيهم قول الله عزوجل.

"وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ "(٨٩)البقرة

" كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ" ١٠٩

من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئا، ولكن الحسد حملهم على الجحود، فعيرهم ووبخهم ولامهم أشد الملامة، وشرع لنبيه ﷺ وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والإيمان والإقرار بما أنزل عليهم وما أنزل من

قبلهم، بكرامته وثوابه الجزيل ومعونته لهم، حيث أنزل الله - تعالى - من أجل اليهود وهدايتهم كتابًا على موسى.

وآتاه السلطان الذي يفرق به بين الحق والباطل، ونصحهم موسى فأخلص لهم النصح، وذكَّرهم بظلمهم حين اتخذوا العجل إلهًا، وذكَّرهم أيضًا بفضل الله عليهم حين تاب عليهم، ولكنهم جحدوا.

بنو إسرائيل يطلبون من موسى أن يروا الله جهرة

تصور لنا سورة البقرة موقف بنو إسرائيل من موسى وربه بعدما انعم الله عليهم بنعمته ونجاهم من آل فرعون وعفا عنهم بعد اتخاذهم العجل للعبادة من دون الله كل هذا لعلهم يشكرون فماذا فعلوا ليتوبوا إلى الله بارئهم. عندما أرادوا أن يتوبوا إلى الله سبحانه، اختار موسى من قومه سبعين رجلا لمناجاة الله، والتوبة إليه سبحانه، ولكن بني إسرائيل تأبى نفوسهم الوضيعة إلا أن تظهر التمرد حتى في مواطن التوبة ومناجاة الباري سبحانه، فقد طلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة، وكان من

عظيم كفرهم وفجورهم أن يطلبوا من موسى دليل بعده يعلنوا إيمانهم فقالوا لموسى أنهم لن يؤمنوا له إلا بعد أن يرَوُا اللهَ جهارًا،

فلما تطلعوا يريدون رؤية الله- سبحانه- أخذتْهم صاعقة من السماء وهم ينظرون، ثم بعث الله - تعالى - أولئك الذين أرادوا رؤيته بعد أن أحرقتهم الصاعقة، وتفضل الله عليهم بعد ذلك بالمَنِّ - إفراز حلو المذاق، تفرزه بعض الأشجار- وبالسلوى - الطائر المعروف بالسمان - ليَقِيهم الهلاك جوعًا في بيئة مجدبة؛ ولكنهم جحدوا أيضًا كل هذه النعم وهذا شاهد القران فيهم "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥)

بنو إسرائيل يستهزئون بأمر الله

ويذكِّر الله - تعالى - اليهود بما تفضَّل عليهم بعد خروجهم من تِيهٍ وضياع في صحراء سيناء، إذ أمرهم بدخول بيت المقدس وهم ساجدون، يسألون الله أن يَحطَّ عنهم ذنوبهم، ويغفر لهم عنادهم، ووعدهم - سبحانه - بالمكافأة وحسن الجزاء، إن فعلوا ما أمرهم به، ولكنهم لم يستغفروا ربهم؛ بل انهمكوا

في الشهوات، ولما عطشوا في التيهِ، تفضل الله عليهم بتكليف موسى أن يضرب بعصاه حجرًا، فتفجرت منه عيون بقدر عدد قبائلهم، لكل قبيلة عين خاصة يأخذون منها حاجتهم، ولا يشاركهم فيها غيرهم، ولكن اليهود - بعد كل هذه النعم يقولون على سبيل الاستهزاء ما حطة ؟ حبة في شعيرة ، ، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ : (قال الله لبني إسرائيل :ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ، فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم ، وقالوا : حبة في شعرة)

سبيل الاستهزاء - قال تعالى :{ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِين (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) البقرة:

وقول الحق وقولوا حطة نغفر لكم خطايكم أى استغفروا ربكم بالسجود ليحط عنكم خطايكم ويرفعها عنكم، ولكنهم استهزءوا بقول الله تعالى، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر

لكم خطاياكم ، فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاهم ، وقالوا : حبة في شعرة)

بنو إسرائيل يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير

إن رحمة الله عز وجل ببني إسرائيل عظيمة، فعلى الرغم من تعنتهم وتمردهم وعصيانهم إلا أنه سبحانه يرحمهم ويرأف بهم ، ففي أثناء عقوبته لهم سبحانه بالتيه في الصحراء منَّ عليهم بالغمام يظلهم من حر الشمس ، وتفضل عليهم بطعام من طعام الجنة فأنزل عليهم المن - وهو شراب حلو - والسلوى - وهو طائر ذو لحم طيب - قال تعالى مذكرا إياهم بهذه النعم: {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (البقرة:٥٧)، فهل عرف بنو إسرائيل نعمة ربهم فازدادوا له شكراً وحمداً؟ كلا، ولكنهم يطلبون الادنى بالذي هو خير"وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) البقرة، إذ جاءوا موسى - عليه السلام - متضجرين ساخطين على هذه النعمة، وادعوا أنهم لا يصبرون على طعام واحد ، وطلبوا منه الثوم والبصل ، حيث طلبوا من موسى أن يطلب لهم من ربه أن يرزقهم مما تُنْبت الأرض، من بقل، وقثاء، وثوم، وعدس، وبصل، وتعجَّب موسى من طلبهم استبدال الاحسن من الطعام بالاسوأ من الطعام، فهذا يدل على عدم ثباتهم على الحق، وهم يعلمون أنه حق، أيستبدل طعام الجنة بالثوم والبصل؟

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ قال ابن كثير- رحمه الله:

يقول: هذا الذي جازيناهم من الذلة والمسكنة، وإحلال الغضب بهم بسبب استكبارهم عن اتباع الحق، وكفرهم بآيات الله، وإهانتهم حملة الشرع وهم الأنبياء و أتباعهم، فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلا كبْر أعظم من هذا، أنهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياء الله بغير الحق؛

ولهذا جاء في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قال: "الكبر بَطَر الحق، وغَمْط الناس" رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ وهذه علة أخرى في مجازاتهم بما جوزوا به، أنهم كانوا يعصون ويعتدون، فالعصيان فعل المناهي، والاعتداء المجاوزة في حد المأذون فيه أو المأمور به. والله أعلم.

تفسير بن كثير.

بنو إسرائيل يجادلون موسى فى أمر اللّه بذبح البقرة

ويبلغ اليهود في جحود نِعَم الله مدى بعيدًا في قصة البقرة، ذلك أن رجلاً منهم قتل رجلاً، وبادر القاتل بشكوى لموسى، فبحث موسى عن القاتل، فلم يهتدِ إليه، فأمرهم الله - تعالى - أن يذبحوا بقرة، فجادلوا موسى جدالاً شديدًا، متسائلين عن لون البقرة، وشكلها، وسِنِّها، وكلما شدَّدوا شدَّد الله عليهم، حتى صارت نادرة، فتعبوا في الحصول عليها، وبعد جهد جهيد، حصلوا على بقرة لا مُسِنَّة ولا فتيَّة، صفراء خالصة الصفرة، ليست بصعبة،

تهيج الغبار إذا تحركت، تسقي الزرع، سليمة من العيوب، في جلدها قطعة لونُها يخالف لونه. وهذه الصفات إنما طلبها الله - تعالى - نتيجة لطول جدالهم وتشددهم، وقد حصلوا على بقرة تتو افر فيها هذه الصفات بضعف ثمن مثلها، وذبحوها بعد أن قاربوا ألاَّ يفعلوا ما أُمِروا به. وأرشدهم الله أن يضربوا جثة القتيل ببعض أعضاء تلك البقرة، فعاد إلى الحياة وأخبرهم عن قاتله، وفي هذه القصة آية من الله لعلهم يعقلون، ولكن قلوبهم - برغم هذه المعجزة البينة - قَسَت حتى صارت كأنها الحجارة أو أشد وهذا العرض القرآني من سورة البقرة شاهد على جدالهم فى أمر الله

" وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ

بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) " البقرة

كل هذا الجدال تحايلا منهم على امر الله فى ذبح البقرة و انكار لصدق موسى فيما ينقل عن ربه وبعد هذا أفتطمعون أيها المؤمنون أن يؤمن لكم اليهود؟.لا والله كيف ؟

وهم الذين حرفوا التوراة التي أنزلها الله عليهم،، فجعلوا الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقاً، أنها أخلاقهم على مر الزمان.

بنو إسرائيل ينكثون المواثيق والعهود

" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَ أَنتُم مُّعْرِضُونَ (٨٣)البقرة

قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بني إسرائيل، أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه، بعدما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له، بأن لا يعبدوا غيره، وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات، ويصلوا الأرحام، ويتعطفوا على الأيتام، ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم، ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثوهم على طاعته، ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها، ويؤتوا زكاة أموالهم - فخالفوا أمره في ذلك كله، وتولوا عنه معرضين، إلا من عصمه الله منهم، فوفى لله بعهده وميثاقه.

بنو إسرائيل يعرضون عن امر الله بعد فضله عليهم

يرفع الله على رؤوسهم جبلاً عظيماً ، ثم يأمرهم سبحانه أن يسمعوا أمره، ويطيعوا شرعه، فيجيبونه بقولهم سمعنا وعصينا، فلما كاد الجبل أن ينقض عليهم، اضطروا إلى السجود، لكنهم سجدوا على شق، ونظروا إلى الجبل بالشق الآخر، فرفع الله العذاب عنهم رحمة بهم، هذه هى أخلاقهم وعهودهم الشيطانية حتى مع خالقهم، قال تعالى مبينا موقف اليهود ونفاقهم:" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤)البقرة

وقال تعالى:" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٣)البقرة

قال: الطور الجبل. اقتلعه الله فرفعه فوقهم، فقال: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ فأقروا بذلك ثم تولوا واعرضوا.

بنو إسرائيل يقولون لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا

لقد كان خروج بني إسرائيل من مصر نصراً لهم بكل معنى الكلمة، فقد خرجوا من العبودية إلى الحرية، ومن الذل إلى العز، وكل ذلك بفضل الله عزوجل وتوفيقه ورأفته بهم، لكنهم لم ينظروا إلى هذا على أنه نعمة تستوجب الشكر، ومِنَّة تستوجب الحمد، بل نظروا إلى تلك النعم على أنها حق لهم، وأن على الخالق أن يبذل المزيد في سبيل راحتهم، هذه كانت نظرة بني إسرائيل للأمر، لذلك عندما أمرهم موسى- عليه السلام - بدخول الأرض المقدسة - القدس - أجابوه بجواب غاية في الدونية، جواب من استمرأ حياة الذل، وعاف حياة العز والجهاد، { قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } (المائدة:٢٤)، فانظر إلى هؤلاء كيف ردوا أمر الله سبحانه ولم يخشوا ربهم حقا فعلى قلوب أقفالها وعصيانُهم هو رفضُهم دخولَ الأرضَ المُقدسةَ، فذلك قوله تعالى" يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ

يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) المائدة

يقول تعالى ادخلوا الأرضَ المقدسةَ التي أُثبِت في اللوحِ المحفوظِ أنَّها لكم مساكنٌ ومنازلٌ دونَ الجبابرةِ التي فيها فأبوا على نبيهم موسى عليه السلام الإجابة إلى ما أمرَهم به من ذلك، واعتلّوا عليه في ذلك بأن قالوا، إن في الأرض المقدسة التي تأمرنا بدخولها، قومًا جبارين لا طاقةَ لنا بحربِهم، ولا قوةَ لنا بهم. وسموهم " جبّارين "، .وكان موسى عليه السلام قد بعث اثنى عشر نقيبًا من جميع أسباط بني إسرائيل، ليأتوه بخبر الجبَّارين، فلمَّا أخبروه عن عظمةِ خلقِهم وشدةِ بطشهم عهِدَ إليهم تركَ إعلامَ بني إسرائيل بما رأوا وعاينوا من الجبابرة الكنعانيين كي لا يجبنَ ولا يجزعَ قومُه من قتالِهم فوفيا بعهدِه رجلانِ صالحان منهم وصفهما الله عز وجل بأنهما ممن يخافُ اللهَ ويراقبُه في أمرِه ونهيِه. وقد قالا لقومه لمَّا جبنوا وخافوا الدخول على الجبارين: ادخلُوا عليهم، أيُّها القومُ بابَ مدينتِهم، فإنَّ اللهَ معكم، وهو

ناصرُكم، وإنكم إذا دخلتم البابَ غلبتمُوهم. فرفضَ الملأ من بني إسرائيلَ دخول الأرضَ المقدسة ما دام الجبارون مقيمين فيها وقالوا بكفرهم:

" إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ "(المائدة:٢٤)

بنو إسرائيل يطلبون عبادة الأصنام واتخاذها إله لهم

لم يكن خافيا على بني إسرائيل الذين أخرجهم موسى عليه السلام من مصر بمعجزة ربانية ، وهرب بهم من كيد فرعون وبطشه - أن موسى رسول من عند الله، جاء بتوحيده والدعوة إليه ، ومع ذلك فلم يمض على خروجهم من مصر ونجاتهم من فرعون إلا وقت قصير حتى طلب بنو إسرائيل من موسى طلبا غاية في الغرابة، إذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فقالوا يا موسى : "قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)الأعراف. قالوا "اجعل لنا"يا موسى" إلهًا نعبده وصنما نتخذُه إلهًا، كما لهؤلاء القوم أصنامٌ يعبدونها. ولا تنبغي العبادة لشيء سوى الله الواحد القهار. وقال موسى صلوات الله عليه: إنكم أيها القوم قوم

تجهلون عظمة الله وواجبَ حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملك السماوات والأرض. يا لله كيف يطلبون من نبي التوحيد أن يجعل لهم صنما يعبدونه، أو ليس خروجهم من مصر ونجاتهم من البحر، نعمة تستوجب الحمد والشكر لله على ما أولاهم إياه من نعم، فأي عقول تلك بل أي قلوب التي تنكر نعم الله انها عقول ضالة، وقلوب عليها اقفال موصدة إنهم اليهود عقول اليهود.

بنو إسرائيل يمكرون ويتحايلون على أمر الله وشرعه

رأينا كيف قابل بنو إسرائيل أمر الله عز وجل لهم بدخول الأرض المقدسة، ثم كيف استهزءوا بأمره حين أمرهم أن يدخلوها ساجدين مستغفرين، فتلك هي طريقتهم في التعامل مع أمر الله وحكمه، أما هذه القصة التي سنوردها الآن فهي تحكي طريقة أخرى في التعامل مع الأوامر الربانية، طريقة التحايل على الأمر، وكأنهم لا يتعاملون مع من يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، ولما كان دين الله مبنياً على ابتلاء العبد بالتكاليف الشرعية؛ حتى ينظر من يمتثل فينجو، ومن يعصي فيهلك، فقد ابتلى الله بني

إسرائيل بتحريم الصيد يوم السبت، ثم ابتلاهم بوفرة الحيتان في ذلك اليوم، وقلتها فيما سواه من الأيام، فماذا عمل بنو إسرائيل؟ هل كفوا أيديهم امتثالا ؟ كلا ، فقد طمعوا واشتروا رغبة انفسهم برضا وتحايلوا بحيل الغدر والمكر ظنا منهم استخفافهم بربهم، حتى استحلوا ما حرمه الله عليهم بأدنى الحيل، واهل هذه القرية أهل أيلة، وهي القرية التي كانت حاضرة البحر، فكانت الحيتان تأتي كثيرة إذا كان يوم السبت - وقد حرم الله على اليهود أن يعملوا في السبت شيئا - لم يبق في البحر حوت إلا خرج ، حتى يخرجن خراطيمهن من الماء، فإذا كان يوم الأحد لزمن مقل البحر، فلم ير منهن شيء حتى يكون يوم السبت، فذلك قوله تعالى: (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم [كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون]). فاشتهى بعضهم السمك، فجعل الرجل يحفر الحفيرة، ويجعل لها نهرا إلى البحر، فإذا كان يوم السبت فتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة، فيريد الحوت أن يخرج، فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر، فيمكث فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه، فجعل الرجل يشوي السمك فيجد جاره

ريحه فيسأله فيخبره، فيصنع مثل ما صنع جاره، حتى فشا فيهم أكل السمك ، فقال لهم علماؤهم: ويحكم! إنما تصطادون يوم السبت، وهو لا يحل لكم، فقالوا: إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه فلما فعلوا ذلك، مسخهم الله.

تفسير بن كثير

قال تعالى : { وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } (الأعراف:١٦٣) وقال أيضا:{ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ }(الأعراف:١٦٦)

وما عِظم هذه العقوبة إلا لعظم الجرم، فلو أتوا الأمر عياناً لكان أهون، لكنهم بتحايلهم ومكرهم استخفوا بربهم جل وعلا وأمره، فانظر عاقبة الحيل والمكر كانت مسخهم قردة خاسئين.

بنو إسرائيل لم يطيقون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الذي يمكن أن يخلص إليه المرء من دراسة مو اقف بني إسر ائيل التي سطرها القرآن أن بني إسر ائيل أهل الشيطان وحاشيته، ومن كان هذا حاله فكيف يصبر على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لذلك كان من أشدِّ ما نقم عليهم أنبياؤهم انهماكهم في المعاصي والسيئات، وعدم قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لعنوهم و أبغضوهم على ذلك ، قال تعالى :" لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)المائدة

كان أمة من بني إسر ائيل، أهل عدل، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فأخذه قومهم فنشروهم بالمناشير، وصلبوهم على الخشب، وبقيت منهم بقية، فلم يرضوا حتى داخلوا الملوك وجالسوهم، ثم لم يرضوا حتى واكلوهم، فضرب الله تلك القلوب بعضها ببعض فجعلها واحدة. فذلك قول الله تعالى: " لعن الذين كفروا من بني إسر ائيل على لسان داود " إلى: " ذلك

بما عصوا وكانوا يعتدون "، ماذا كانت معصيتهم؟ قال: كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . تفسير بن كثير

بنو إسرائيل يعبدون عجل السامري

لقد كان بنو إسرائيل ضعاف الإيمان فبعد طلبهم الأول من موسى عليه السلام أن يصنع لهم أصناما آلهة ليعبدوها وتحذيره لهم، كانت فتنتهم الثانية التي حصلت بغياب موسى عليه السلام عنهم وقصة ذلك أن رجلاً منهم يسمى السامري جمع ما كان لدى بني إسرائيل من ذهب الفراعنة ومجوهراتهم، وصنع منها عجلاً له صوت خاص (خوار)، ودعا بني إسرائيل لعبادته. فاتَّبعه أكثر بني إسرائيل، وبقي هارون - أخو موسى وخليفته - مع أقلية من القوم على دين التوحيد، وحاول هؤلاء الموحدون الوقوف بوجه هذا الإنحراف فلم يفلحوا، وأوشك المنحرفون أن يقضوا على حياة هارون أيضاً، فما هو سبب الانحراف هذا بعد كل الآيات التي أظهرها لهم الله تعالى ورأوها بأعينهم؟

إنه الضعف في العقيدة والجهل الذي أدى بهم إلى ترك ديانة التوحيد وهو امتحانٌ واختبارٌلهم من الله عزوجل لأن الإيمان الصحيح والقوي يصمد أمام هذا النوع من الامتحان، وأما الإيمان الضعيف فإنه سوف ينهار أمام أضعف الشبهات وهذا ما حصل مع بني إسرائيل؛ وقد اتخذ موسى موقفاً حاسماً فبين لهم أولاً بطلان عبادتهم لهذا العجل،

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩)طه

وكان لا بد لموسى عليه السلام أن يغضب لهذا، إنَّه الغضب المشوب بالرحمة لخوفه على قومه من العقاب الإلهي الشديد نتيجة كفرهم، وهذا هو موقف كل مؤمن يدعو إلى الله تعالى. ثم قام ثانياً بمحو هذه الظاهرة من حياتهم (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧)طه.

وسنَّة الامتحان الإلهي هذه تجري على جميع الأمم، فالله عزوجل يضع عباده أمام امتحان الطاعة له والالتزام بأوامره ونواهيه والفائزون هم أصحاب الثبات والقدم الراسخة في الإيمان.

(الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) العنكبوت

وقال الحق تبارك وتعالى موضحًا حقيقتهم:

"وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)البقرة

قال ابن جرير: يعني بقوله جلّ ثناؤه: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم} وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً، فدع طلب ما يرضيهم ويو افقهم و أقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق. وقوله تعالى: { قل إن هدى الله هو الهدى} أي قل يا محمد إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى، يعني هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل { ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير} فيه تهديد شديد ووعيد للأمة في اتباع طرائق اليهود والنصارى، بعدما علموا من القرآن والسنّة - عياذاً بالله من ذلك - فإن الخطاب مع الرسول والأمر لأمته، وقد استدل كثير من الفقهاء بقول: { حتى تتبع ملتهم} حيث أفرد الملة على أن الكفر كله ملة واحدة كقوله تعالى: { لكم دينكم ولي دين} ، فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفّار، وكلٌ منهم يرث قرينه سواء كان من أهل دينه أم لا لأنهم كلهم ملة واحدة. هذه هي أخلاق بني إسرائيل وتلك هي جرأتهم على ربهم ورسله، واحتيالهم على أمره ليس لهم عهدا ولا ميثاق ، فهل من معتبر ومتعظ بحال أعداء الله ، وقتلة الأنبياء والرسل، بنو إسرائيل سواعد الشيطان. تفسير بن كثير

الفصل الثامن

غاية الشيطان وأهدافه

إن غاية الشيطان ومراده من بني آدم،هي أن يكونوا من أصحاب السعير كما ورد بكتاب الحق المبين " إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) "فاطر يقول الحق تعالى فأنزلوه من أنفسكم منزلة العدو منكم واحذروه بطاعة الله، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته، فإنه إنما يدعو حزبه، ومن أطاعه، إلى طاعته والقبول منه، والكفر بالله (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) أي ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها.

" إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا

(١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١)النساء.

هذا وعد الشيطان للأنسان وما كان وعده إلا غرورا، فإن لم يصل الشيطان إلى غايته ولم يقدر على إغواء وتكفير الناس، فإنه لا ييأس ويظل يستخدم أساليبه ليصل لمراده من الإنسان.

فعن سبرة بن أبي فاكه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك كان حقا على الله عزوجل أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقا على الله عزوجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة) رواه " النسائي واحمد "

وحزب الشيطان كثيرون فهم ذوي النفوس الآمارة بالسوء التي وجد الشيطان عندها مآربه وهم حصيد جهنم يوم ينادي جهنم عن حصيدها فتجيب.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغيروتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد" رواه البخاري

وللشيطان سبل وصور لا حصر لها لإغواء البشر، وقد ذكرنا كيف صور إبليس لأدم المعصية ملك لا يبلى، حيث معركة الشيطان مع ابن آدم من حين ولادته.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه)) ثم قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم "وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) آل عمران رواه مسلم والبخاري.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان)) رواه مسلم وقد شرع لنا نبينا من الذكر ما نقي به أولادنا من الشيطان وذلك قبل وجودهم، فعن ابن عباس يبلغ النبي ﷺ قال: ((لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره)) رواه البخاري و مسلم.

وكيد الشيطان مستمر من المسلم في كثير من أحواله،فعن جابر قال سمعت النبي ﷺ: ((يقول إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه)) رواه مسلم

فنجده يقعد له فى ذهابه و إيابه

١ـ إبليس يشغل المسلم عن صلاته ويدلس له فيها شكا

فعن عائشة ﷺ قالت سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: ((هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد)) البخاري.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التآذين للصلاة ، فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا

ثوب بالصلاة أدبر حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا اذكر كذا -لما لم يكن يذكر- حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى)) رواه البخاري و مسلم.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس)) رواه الترمذي فغاية إبليس هى أن يأخذك من طاعة ربك وحضرته فهو لا يريد لك الخير ولا النعيم.

٢ـ الكسل والضعف والتسويف فى القيام للصلاة لوقتها

ومن صور عداوة الشيطان ايضا أن يصيب المسلم بالكسل والضعف ويظل يؤجل له فى وقت الصلاة حتى تروح عن وقتها

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك الشيطان)) رواه البخاري

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: ((إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فليرده ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان)) رواه البخاري

٣ـ النوم وعدم ذكر الله:

ينام الإنسان فلا يسلم من تسلط الشيطان، فيتسلط عليه قبل النوم و أثناءه

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)) رواه البخاري و مسلم

عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال: ((الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره)) البخاري ومسلم

٤ـ يغفل الشيطان المسلم عن ذكر الله عند مأكله ومشربه

عن جابر بن عبد الله سمع النبي ﷺ يقول: ((إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، فإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء)) رواه مسلم

وعن جابر قال سمعت النبي ﷺ: ((يقول إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة)).

٥ـ الشيطان والطريق والأسواق :

عن قيس بن أبي غرزة قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نسمى السماسرة فقال: ((يا معشر التجار، إن الشيطان والإثم يحضران البيع فشوبوا بيعكم بالصدقة)) رواه الترمذي والنسائي.

٦ـ الشيطان وزهوق الروح

عن أبي اليسر قال كان رسول الله ﷺ يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم والغرق والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا)) رواه النسائي و أبو داود

حصن المسلم من نزغ الشيطان وكيده

قد أرشدنا النبي ﷺ إلى ما يصرف عنا كيد الشيطان وشره،من آيات الذكر الحكيم ومن ذلك:

١ـ **الإخلاص فى العبادة لله** : " قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) الحجر

فالعبد المخلص مستثنى من إغواء الشيطان

٢ـ **حسن العبودية لله**: " إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) الحجر

٣ـ **الاستعاذة بالله والفرار إليه**

" وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)فصلت.

وعلى المسلم ان يستعيذ بالله فى كثير من الأمور

أ) عند الفزع والخوف فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع: ((كلمات أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون)) وكان عبد الله بن عمر يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبه فأعلقه عليه. رواه الترمذي و أبو داود

ب)عند الخروج من البيت للطريق فعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله قال يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت، فتتنحى له الشياطين فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي)) رواه أبو داود و الترمذي.

ج) عند دخول المسجد للصلاة فعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: ((أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال أقط؟ قلت: نعم. قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم)) رواه أبو داود

د) عند تلاوة القرآن" فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) النحل

و) عند دخول الخلاء لقضاء الحاجة فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: ((اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)) رواه البخاري و مسلم

ز) عند الغضب وثورة النفس فعن سليمان بن صرد قال كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان، فأحدهما احمر وجهه و انتفخت أوداجه فقال النبي ﷺ: ((إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد)) فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: ((تعوذ بالله من الشيطان)) فقال وهل بي جنون. رواه البخاري

ح) عند سماع نهيق الحمار فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً)) رواه البخاري و مسلم

ط) في القيام للصلاة فعن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي صلاة قال عمرو لا أدري أي صلاة هي فقال: ((الله أكبر كبيراً الله أكبر كبيراً الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً والحمد لله كثيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً – ثلاثاً - أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه. قال: نفثه الشعر، ونفخه: الكبر وهمزه: الموتة))رواه الترمذي و أبو داود

٤ـ تلاوة القرآن

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وإن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان)) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح رواه الترمذي و مسلم

عن ابن مسعود قال: (من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة و آية الكرسي و آيتان بعد آية الكرسي وثلاثا من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق) رواه الدارمي

٥ـ ذكر الله عز وجل

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له

حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك)) رواه البخاري ومسلم

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: ((إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهبت ساعة من الليل فخلوهم وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا)) رواه البخاري ومسلم

٦- الوضوء على كل وقت

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)) رواه البخاري ومسلم

سبل الشيطان لنفس المسلم

١ـ الغضب وضيق النفس

عن عطية قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)) رواه أبو داود وأحمد

٢ـ ـ العجلة فى الأمور وما تؤدي إليه من أخطاء ومعاصي:

وعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: ((الأناة من الله والعجلة من الشيطان)) رواه الترمذي

٣ـ النسيان ومزاحمة الأفكار:

"اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)المجادلة "فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ (٤٢)يوسف

٤ـ الوسوسة والنزغ وإلقاء الشبهات على القلب:

عن ابن عباس قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أحدنا يجد في نفسه يعرض بالشيء لأن يكون حممة أحب إليه من أن يتكلم به فقال: ((الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة)) قال ابن قدامة رد أمره مكان رد كيده. رواه أبو داود

٥ـ التدرج في الإغواء واتباع طريقة الخطوات

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) النور

ومن ذلك تدرجه في إضلال قوم نوح فعن ابن عباس ﷺ: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد أما ود كانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع كانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبإ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا

إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسّخ العلم عبدت) رواه البخاري

ومن ذلك استدراجه لعابد بني إسرائيل برصيصا حتى أوقعه في الزنا ثم الكفر ثم تخلى عنه، والقصة رواها الحاكم وعامة المفسرين في تفسير قوله تعالى:" كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(١٦) الحشر

الفصل التاسع

تقـــوى الله

"وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا "(٦٧)الفرقان.

وذكر في الصحيحين أن من يتقي الله يجعل له مخرجا.

عن أبي ذَرٍّ جُنْدُب بِن جُنَادَة، و أبي عبد الرحمن مُعَاذ بِن جَبَلٍ ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: "اتق الله حيثما كنت، وأَتْبِعِ السَّيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ حسنٍ". رواه الترمذي

"اتق الله": التقوى في اللغة: اتخاذ وقاية وحاجز يمنعك ويحفظك مما تخاف منه وتحذره، وتقوى الله عزوجل: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من عقاب الله وقاية تقيه وتحفظه منه، ويكون ذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

"حيثما كنت": أي في أي زمان ومكان كنت فيه، وَحْدَكَ أو في جمع، رآك الناس أم لم يَرَوْكَ.

المعنى العام:

التقوى سبيل النجاة: أعظم ما يوجهنا إليه رسول الله ﷺ في هذه الوصية تقوى الله عز وجل، التي هي جماع كل خير والوقاية من كل شر، بها استحق المؤمنون التأييد والمعونة من الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النمل: ١٢٨]. ووعدهم عليها الرزق الحسن، والخلاص من الشدائد: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢-٣]. وبها حفظهم من كيد الأعداء: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} [آل عمران:١٢٠]. وجعل للمتقين حقاً على نفسه أن يرحمهم: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} [الأعراف: ١٥٦].

ولقد كثرت الآيات والأحاديث في فضل التقوى وعظيم ثمراتها، ولا غرابة، فالتقوى سبيل المؤمنين، وخلق الأنبياء والمرسلين، ووصية الله تعالى لعباده الأولين والآخرين، فمن التزمها فازورربح، ومن أعرض عنها هلك وخسر:

{وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا} [النساء: ١٣١].

فالتقوى ليست كلمة تقال، أو دعوى تُدعى دون برهان، بل هي عمل دائب في طاعة الله عزوجل، وترك حازم لمعصية الله تبارك وتعالى، ولقد فسر السلف الصالح التقوى بقولهم : أن يُطَاع اللهُ فلا يُعْصَى، ويُذْكَرَ فلا يُنْسَى، ويُشْكَر فلا يُكْفَر. ولقد عملوا بهذا المعنى والتزموه، في سرهم وعلانيتهم، وكل حال من أحوالهم وشؤونهم، تنفيذاً لأمرالله تعالى وتلبية لندائه:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

ومن كمال التقوى:

البعد عن الشبهات وما التبس بالحرام من الأمور: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه "الصحيحين ". البخاري ومسلم. شرط تحقق التقوى: لا تتحقق التقوى بمعانيها ولا تؤتي ثمارها، إلا إذا توفر العلم بدين الله تعالى لدى المسلم، ليعرف كيف يتقي الله عز وجل: {كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨].

لأن الجاهل لا يعرف ما يجب عليه فعله وما يجب عليه تركه، ولذلك كان العلم أفضل العبادات، وطريق الوصول إلى الجنة، وعنوان إرادة الخير بالمرء،العلم بدين الله الحق وشرعه ومنهاجه الذى سنه الله لخلقه والرجوع لاهل العلم والاجتهاد فى كل ما يلتبس على المرء من أمور حياته حتى يستنير بما يجب عليه فعله.

قال ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم" رواه الترمذي. وقال: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة" رواه مسلم. وقال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" متفق عليه.

يوجهنا الحديث إلى:

أن التوبة من الذنب الإسراع في عمل الخير لأن هذا خلق المؤمنين المتقين، وقد يغلب على الإنسان النسيان أو الغفلة، وقد تغريه نفسه أو يوسوس له شيطانه، فيقع في المعصية ويرتكب الذنب، ومن التقوى - عندئذ - أن يسارع إلى التوبة ويستغفر الله عز وجل إذا ذكر أو نُبِّه، قال تعالى في وصف المتقين: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ

يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٥]. ثم يبادر المسلم التقي، بعد التوبة والاستغفار، إلى فعل الخيرات والإكثار من الأعمال الصالحة، لتكفر عنه ذنبه وتمحوا ما اقترفه من إثم، و اثقاً بوعد الله تعالى إذ قال:

{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤]. ومستجيباً لأمر رسول الله ﷺ إذ قال: "و أتبع السيئة الحسنة تمحها".

التوبة شرط لتكفير الكبائرمن الذنوب:

أجمع المسلمون على أن الحسنات تُكَفِّر الذنوب الصغيرة، وأما الذنوب الكبيرة - وهي كل ذنب توعد الله تعالى عليه بالعقاب الشديد، كعقوق الوالدين، وقتل النفس، وأكل الربا، وشرب الخمرونحو ذلك - فلا بد فيها من التوبة، قال تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: ٨٢]. وهذا إذا كان الذنب لا يتعلق بحق العباد، فإن كان متعلقاً بحق العباد - كالسرقة والغصب والقتل ونحو ذلك - فلا بد فيها من أداء الحقوق لأهلها، أو طلب المسامحة منهم ومسامحتهم، فإذا حصل ذلك رُجي من الله تعالى القَبول ومحو الذنوب، و إبدالها بالحسنات، قال الله تعالى:{ إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ٧٠}الفرقان

ومن فضل الله عز وجل: أنه يخفف عن عباده الذنوب بصالح الاعمال ،فإن الأعمال الصالحة تؤثر بالذنوب الكبيرة، فتخفف إثمها ، وإذا لم تكن للإنسان ذنوبا فإنه سبحانه يضاعف له الأجر والثواب.

الأخلاق أساس قيام الحضارة الإنسانية:

يوجهنا رسول الله ﷺ، في هذه الوصية، إلى أمر فيه صلاح حياة الفرد واستقامة نظام المجتمع، ألا وهو معاملة الناس بالخلق الحسن الجميل، معاملة الإنسان للناس بما يحب أن يعاملوه به من الخير، حتى يصبحَ المسلمُ رحيم القلب يُحبُّ الناسَ ويُحبونه، ويُكرمهم ويُكرمونه، ويُحسن إليهم ويُحسنون إليه، وعندها يندفع كل فرد في المجتمع، إلى القيام بواجبه راضياً مطمئناً، فتستقيمُ الأمور وتسودُ القيم وتقوم الحضارة الإنسانية السليمة المبنية على أسس الدين والأخلاق .

وللأخلاق منزلة رفيعة في الإسلام، قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبرُكم بأحبِّكم إلى الله، و أقربكم مني مجلساً يوم القيامة ؟. قالوا: بلى، قال: أحسنكم خلقاً" رواه ابن حبان في صحيحه.

ويمكن للإنسان أن يكتسب الأخلاق الحسنة الرفيعة، وذلك بالاقتداء برسول الله ﷺ في حسن خلقه، ولقد أمرنا الله عز وجل بذلك إذ قال: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ(٢١)" الأحزاب

ومن وسائل اكتساب الأخلاق الحميدة: صحبة الأتقياء والعلماء، وذوي الأخلاق الفاضلة، ومجانبة الأشرار وذوي الأفعال الدنيئة الرديئة.

ومن مكارم الأخلاق: حسن الخلق،و صلة الرحم، والعفو والصفح، والعطاء رغم المنع، روى الحاكم وغيره عن عقبة بن عامر الجُهَني رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يا عقبة، ألا أخبرُك بأفضلِ أخلاقِ أهل الدنيا والآخرة؟. تَصِلُ من قطعَكَ، وتعطي من حرمَكَ، وتعفو عمَّن ظلمَكَ" وفي رو اية عند أحمد". وتصفحُ عمن شتمَكَ".

ومن حسن الخلق: بشاشة الوجه، والحلم والتواضع، والتودد إلى الناس وعدم سوء الظن بهم، وكفُّ الأذى عنهم.وأن تحب لاخيك المسلم ما تحبه لنفسك قال ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق". رواه مسلم.

أمرنا الله عز وجل بتقواه ، وأخبرنا أن التقوى هي عنوان الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة ، فقال الله عزوجل : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (١٠٢) آل عمران، وقال عز وجل "وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ"(٥٢) النور

وأخبر أنه سبحانه مع المتقين، فقال : (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُون(١٢٨) النحل ، وأنه وليهم ، فقال : (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ(١٩) الجاثية ، وأن العاقبة للمتقين، فقال : (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(١٢٨)الأعراف، وأنهم أهل النجاة والفوز في الدنيا والآخرة، فقال : (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(١٨) فصلت وقال : (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا (٧٢) مريم ،

وقال : (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا(٣١) النبأ والمتقون من المؤمنين هم أولياء الله ، (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)، الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ(٦٣) يونس. والآيات في ذلك كثيرة كلما نهلت من القرأن قبسة وجدت فيها خيرا كثيرًا.

فالتقوى أيضا هي فعل ما أمر الله به ، وترك ما نهى عنه .

ومما يعين العبد على ذلك : التفكر في أمر الدنيا والآخرة ، ومعرفة قدر كل منهما ،ويعلم حق العلم ان الدنيا ما هي إلا سبيلا للآخرة وإنها دار اختبار لا دار قرارا، فإن هذه المعرفة لا بد أن تقود الإنسان إلى السعي إلى الفوز في الأخرة بنعيم الجنان ، والنجاة من النار ، ولذلك أخبرنا الله عز وجل عن الجنة أنها "أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ"(١٣٣) آل عمران

ومما يزيد التقوى في القلوب:

اجتهاد الإنسان في طاعة الله تعالى ويجاهد نفسه فى كل طلبا تسوله له بأنه صغيرا وهو عند الله عظيما فى جرمه ومخالفة النفس للهوى يكون فوزا عظيما ، فإن الله يكافئه على ذلك بزيادة الهداية والتقوى ، فيعينه على القيام بما أمر الله به ، ويفتح له من أبوب الخير والطاعات ويسرها له ما لم يكن يسيرا عليه من قبل .

قال الله تعالى "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ(١٧) محمد

ومما يصل بالإنسان إلى التقوى:

الحرص على تلاوة القران وتدبره والصيام؛ صيام البدن والنفس عن المعاصي وليس فقط عن الطعام والشراب، والإكثار منه؛ فإن الله تعالى جعل

فيه خاصية تعين العبد على الطاعات وتحببها إليه ، ولذلك قال الله تعالى عن فرض الصيام " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"(١٨٣) البقرة ولذلك أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأكد وصيته ، وأخبر بأنه لا مثل له في ذلك

فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِعَمَلٍ، قَالَ: (عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عَدْلَ لَهُ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِعَمَلٍ، قَالَ: (عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ) "أى لا يعادل ثو ابه بشئ من الأعمال الصالحة .

رواه أحمد والنسائي وغيرهما ، وصححه الألباني .

كما ينبغي على كل مؤمن التخلق بأخلاق وصفات المتقين التي ذكرها الله تعالى في كتابه ، قال الله تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ(١٧٧) البقرة

وقال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ(١٣٦) آل عمران

ومن ذلك أيضا: التمسك بهدي النبي ﷺ ، والابتعاد عن البدع المحدثة في الدين ، قال الله تعالى : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٥٣) الأنعام

ومن ذلك أيضا: الابتعاد عن حرمات الله وحدوده الذي امرنا بعدم الاقتراب منها ، قال الله تعالى : (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(١٨٧) البقرة

كما يجب التفكر في آيات الله الشرعية والكونية ، قال تعالى : (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ(٦) يونس.

وقال سبحانه : (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا(١١٣) طه

والإكثار من ذكر الله وتلاوة القرآن ،ومصاحبة أهل الخير الذين ينصحون ويذكّرون ، ومجانبة أهل الشر والبدعة ، كما ينبغى للمؤمن الحق ان يتذكر الموت فى كل حين فهو حق مبين ، فإنه لا يدري متى يحل به الموت، فلا يمكنه استدراك ما قصر فيه ، وحينئذ يندم وقت لا ينفع الندم .

وكل إنسان مسئول يوم القيامة : (عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ) رواه الترمذي ، وصححه الألباني.

والصحة وتوفر الوقت من نعم الله تعالى التي لا يعرف قدرها كثير من الناس إلا بعد فواتها وضياعها منه ، ولذلك قال النبي ﷺ : (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ) رواه البخاري

والغبن هو الخسارة في البيع ، فمعنى الغبن هنا : أنه لا يستفيد منها ، بل يخسر صحته وفراغه ووقته فيما لا ينفعه في الدنيا ولا في الآخرة . وهذا أعظم من خسارة التاجر في تجارته فعليك لا تضيع صحتك وشبابك فى معصية الله فالمؤمن العاقل يعلم أنه مقبل على أمر عظيم ، فلا بد أن يستعد له .وكل تعب في طاعة الله في الدنيا سيكون راحة في الآخرة ، وكل راحة ومتعة بمعصية الله في الدنيا سيعقبها الندم والعذاب إن لم يعف الله عن صاحبها يوم القيامة ، والله ولي المتقين

فى القرأن الكريم ستجد سبيل التقوى مع كل آية تحثك على فعل أمر فيه طاعة لله ،وتنهيك عن فعل أمر أخر فيه معصية الله

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) محمد

(وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦)الإسراء

(الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) يوسف

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣) يوسف صدق الله العظيم

الفصـل العاشـر

مجاهـدة النفس سبيل النجـاة

أن طبيعةُ النفس البشَرية تميل إلى كل ممنوع فهو لها مرغوب، وتنفر من القيود، فتدفع الإنسان إِلَى الطُّغيانِ والظلم، و اتباع الهوى، وتفضيل الحياة الدنيا على الآخرة، فبينما يدعو الله- تبارك وتعالى- الإنسان إلى الانتهاء عن المعاصي والتحلي بالطاعات، بالتزام أوامر الرحمن واحترامها، ووضعها موضع التنفيذ لا موضع التجاهل، وذلك بالخوف من الله والذي يعني التزام أوامره واجتناب نواهيه ويكون ذلك بنَهْيِ هذه النفس الأمَّارة بالسوء عَنِ الهَوى وعن كل ما يودي بها إلى الهلاك.

فمن طبيعة الإنسان الضعف أمام الهوى والملذات والشهوات والمفاتن فدائما كل ممنوع مرغوب قَالَ الله تَعَالَى:

:﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢٨)النساء والضعف هنا قد يكون عامًّا، يشمل شتى أنواع الضعف، كضعف العزيمة وضعف الصبر على المكاره والصبر على قهر الهوى والشهوات؛ لذلك أعانه الله تعالى بالنصح والإرشاد

على يد الرسل والأنبياء، واشترط- تبارك وتعالى- على نفسه ألا يعذب بشرًا قبل أن يرسل إليهم من ينصحهم ويبين لهم طريق الخير من طريق الضلال ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (١٥) لإسراء

ولهذا أتم الله الدين برسالة محمد صل الله عليه وسلم وجعله مرسل للعالمين وليس لأحد بعد القران حجة واتم رسالته مخبر بذلك فى كتاب عزوجل.

" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣)المائدة

فالنفس الأمارة بالسوء تقود صاحبها إلى اتباع الشهوات كما أوضحنا سالفا فى عرض معناها، فينغمس في ملذات الدنيا وينسى الآخرة، وفوق ذلك فإن أغلب المصائب التي تلحق بالبشر مردُّها إلى اتباع هوى النفس وما يجنيه الإنسان من ذلك، والله تبارك وتعالى يبتلي الإنسان بالشهواتِ؛ فإذا كبح جماح نفسه وامتنع عن الشهوات فازَ ونجا ونال رضا الله وإلا خاب وخسر وهلك..

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾(٧٩) النساء

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (١٦٥)آل عمران

وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)﴾ (الشورى)،

وقال تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (٥٣)لأنفال

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (١١)١لرعد:

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾

(١٦٥)آل عمران

وعن أبي ذرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله- ﷺ- فيما يروي عن ربِّهِ عزَّوجلَّ:

"... يَا عبادي! إِنَّما هي أَعمالُكم أُحصيها لكم ثمَّ أُوفِّيكُم إِيّاها؛ فَمَنْ وجدَ خيرًا فَلْيحمدِ اللهَ، ومَنْ وجدَ غيرَ ذَلِكَ فلا يَلومَنَّ إِلاَّ نفسَه"، فعندما يغيّر الإنسان طاعة الله بطاعة الشيطان تتوالى المصائب فتصبح حياته ضنكًا"

حديث قدسي

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦)﴾ (طه)،

وهنا لا يلومن غير نفسه، وفي المقابل عندما يغيّر الإنسان طاعة الشيطان واتباع خطواته والرجوع الى سبيل الحق بطاعة الله، فإنه ينال رضا الله وتصبح نفسه مطمئنةً راضيةً قانعةً.

مجاهدة النفس:

هي السبيل لقهر النفس الأمَّارة بالسوء؛ فعن أبي ذرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: "أفضل الجهادِ أَنْ يجاهد الرجل نفسه وهواه" (صحيح الجامع)

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٦٩)العنكبوت

وروى مسلم عن أبي مالكٍ الأشعريّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: "... كلُّ النَّاس يغدو، فبائعٌ نفسهُ فمعتقها أَوْ مُوبِقُها أي أنّ كلَّ إنسان هُوَ ساعٍ فِي هلاك نفسه، أَوْ فِي فِكاكها، فمن سعى فِي طاعة الله، فَقَدْ باع نفسَه للهِ، وأعتقها مِن عذابه، ومن سعى فِي معصيةِ الله، فَقَدْ باعَ نفسَه بالهوان، وأوبقها بالآثام الموجبة لغضب الله وعقابه".

ويكون جهاد النفس بمراقبتها حيث يكون الإنسان بصيرًا رقيبًا على نفسه، يرى عيوبه ويعلم ما تكن نفسه من امور لا يعلمها إلا الله فهو بنفسه بصير فكلما استحضر بقلبه خشية الله سعى كل السعي لأصلاحها ﴿بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾ (القيامة).. فجب ان يكون رقيبًا على نفسه قبل أن يكون رقيبًا على الآخرين، يصلح نفسه قبل أن يصلح الآخرين، يبدأ بنفسه قبل الآخرين.

عَنْ أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله- ﷺ-: "يُبْصِرُ أحدكم الْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَيَنْسَى الجِذع فِي عَيْنِهِ". رواه البيهقي

فمن ملك نفسه وقهرها انتصر عَلَى أشدِّ أعدائه، قَالَ تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩)الحشر

فالفوز في وقاية شرِّ النَّفْس وشحِّها، وَهُوَ تطلعها وتوقها إلى الشهوات.

ويكون جهاد النفس ايضا بمداومة تزكية النفس بالطاعات والذكر الدائم لله ومداواة الصلاة على النبي صل الله عليه وسلم وأشغال القلب واللسان بها: ففي ذلك قَالَ تَعَالَى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ (الشمس)، أَي: أَفلحَ من نجح في الفوز بطاعةِ اللهِ، وخابَ مَنْ حَقَّرَها بمعاصي اللهِ، وفي الحديث سُئل رسول الله- ﷺ-: مَا تزكية المرء نفسه يَا رَسُول الله! قَالَ: "يعلمُ أنّ اللهَ معه حيث مَا كَانَ".

ومن أعظم سبل مجاهدة النفس الاعتصام بالله ويكون بشغل القلب بذكر الله وحضوره: قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٠١) آل عمران.

وقال سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨)الحج فالاعتصام بالله هو السبيل إلى الاستقامة على طاعة الله، فيتولاَّه الله وينصره على الشيطان.فمن كان في معية الله لن ينال منه الشيطان ما دام من المخلصين.

فمن وكله الله إِلَى نفسه يقول عنه ابن القيم في الداء والدواء (١٣٠) "انقطعت عَنْهُ أسبابُ الخيرِ واتَّصَلَتْ بِهِ أسبابُ الشرّ، فأيُّ فلاحٍ وأيُّ رخاءٍ وأيُّ عَيْشٍ لِمَنِ انْقَطعتْ عَنْهُ أسبابُ الخيرِ، وقُطِعَ مَا بينه وبين وليّه ومولاهُ الَّذِي لاَ غنى لَهُ عَنْهُ طرفةَ عينٍ، وَلاَ بُدَّ لَهُ منه، وَلاَ عوضَ لَهُ عَنْهُ، واتَّصلت بِهِ أسبابُ الشرّ، ووصلَ مَا بينه وبين أعدى عدوٍّ لَهُ: فتولاه عدوُّهُ، وتخلَّى عَنْهُ وليُّه؟! فَلاَ تعلمُ نفسٌ مَا فِي هَذَا الانقطاعِ والاتِّصالِ مِنْ أنواعِ الآلاَمِ وأنواعِ العذابِ"!!.

ومن تولاه الله ولم يكِلْه إلى نفسه حبَّب إليه الإيمان وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان؛ قال تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمْ الرَّاشِدُونَ (٧) ﴾ الحجرات.

فاللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، يا رحمن يا رحيم وكن لنا وليا ونصيرا.

"رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)البقرة

الفصل الحادي عشر

صحـــوة قلـب

بعد أن كدت أن أنتهي من مؤلفي هذا؛ حدث موقف هو من منطق الحياة ومنهجها عادي وجدا، ولكني أحسبه عظيما بالنسبة لي، ولكل من تلمس روحه حروف هذه السطور، سيدركه نفس الشعور الذي انتاب روحي، ربما كان الموقف يقظة أو كأن أحداً أيقظك، وفى اللغة معنى يقظة و أيقظ فهو كالتالي:-

١- يَقَظَة :- فهي: انتباه ، صَحْوَة ، عكس غفلة :- يَقَظة ضمير ، - يقظة بعد وَهْم / حُلْم ، - في حالة يقظة : انتباه ، تأهُّب :-

٢- أيقظ :-

أيقظ الشَّيءَ : أثاره ، وهيّجه :- أيقظ الفتنةَ ، - أيقظ في نفسه الشفقةَ والرحمةَ ، - أيقظ حديثُه فينا شجونًا ، - لا توقظ الألم إذا كان نائمًا

ذهبت لواجب عزاء، ولم تكن المرة الأولى لأداء مثل هذا الواجب، ولكنها كانت المرة الأولى في هذه الزلزلة التي هزت كل أرجاء روحي وقلبي؛ فعندما دخلت المكان الذي كانت فيه المتوفاة هبت هذا الحشد من النساء

المجتمعات قبل خروج الجسد للمسجد للصلاة عليه، فاصطحبوني إلى الغرفة التي فيها قريبتي لأشاطرها أحزانها ، وكانت تلك الحجرة القابع فيها الجسد المهيأ للخروج لمثواه الأخير، وكنت لأول مرة أرى جسدا فارقته الروح بهذا القرب، فكان قريب مني لحد لو مددت يدي إليه لصافحته، جسد بلا حراك ولا حياة ملفوف بلفافات تستره، يا لهيبة الموقف، تجمدت أطرافي وازدادت دقات قلبي، وكما لو كان شئ عظيما شج صدري، اقتربت من قريبتي أهون وجعها، و أنا هي التي تريد من يحتضن رهبتها ليطمئن قلبي، ثم جلست على حافة الأريكة أنظر لهذا الجسد، تسابق الدموع أنفاسي، وتعلو أصوات تنهيدات قلبي، فترفقن من كن بالغرفة بحالي، وأردن اصطحابي للخارج لكنى أبيت، وقلت أتركاني، ومن منا لن يكون في هذا الموقف، وظلت عيناي تنظر لهذا الجسد حتى كاد من كثرة دموعي يتلاشى أمامي، و انفصلت روحي عمن هن حولي وظلت الأسئلة تراودني، كيف كنا وكيف سنكون؟، هي الآن ، و أنت غدا!، منذ ساعات كانت صاحبة هذا الجسد تضج حياة وحركة في هذه الغرفة، أليست هي من وضع كل هذه الأشياء في هذا المكان؟، يا ألهي أين الأشياء منا؟ أين خزانة الملابس المكتظة بألوانها؟ أين احذيتى التي كنت

أتباهى بأرتدئها؟ أين حقائبي؟، أين أدوات زينتي؟ أين قلمي أوراقي؟ أين أموالي؟ أين كل ما كان لي مفضل؟ كل هذا وغيره لا طائل منه، فكل شئ بات ور ائي، كل ما يخصني من زاد هذه الدنيا هذى اللفافة فقط، وهي التي تسترني، واستيقظت من سبح روحي في ملكوت لست أدركه بكياني المادي؛ لأنظر للجسد المتمثل أمام عيني؛ وتصرخ روحي بلا صوت يا إلهي أنها في ثبات عميق ليس بعده يقظة إلا في عالم البرزخ، ثم تمر صورة ذاك الحشد الذي بالخارج المتوشح بالسواد رمزا للحزن و أقول مرة أخرى بلا صوت:

أين كل هذا الحشد منها في قبر لا يتعدى المتر ؟ وترد روحي أنها رحمة ربي، فلن ينساها في وحشة القبر، وفى نفس اللحظة قالت لي نفسي: أين إبليس الآن؟ هل انتهت مآربه من هذا الإنسان الذي لم يتبقى منه غير هذا الجسد الذي بعد قليل سيواريه التراب؟ نعم انتهت مآربه ولكنه هناك في كل الأماكن يبحث عن ضحاياه، ولكن هل هو يهاب الموقف؟ أم انه في فرح لهذا الحزن الذي يعم المكان؟ وتحاكى خاطري كلمات ربي ليهدأ بعض روعي:

"يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) الفجر.

فالموت حق على جميع خلق الله " ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ الزمر: ٣٠ قال: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: ١٩].

و أتذكر قول الله الحق في مصيبة الموت

" الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)البقرة

نعم فالموت مصيبة بذكر قول الحق تعالى "إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴿١٠٦ المائدة﴾

إن مصيبة الموت في أنه يأتي بغتة دون مقدمات، كما أنه لا يعرف صغيرًا أو كبيرًا، ولا ذكرًا أو أنثى، ولا ملِكًا أو مملوكًا، فكل ما علينا أن نديم التجهيز له، والاستعداد له؛ حتى إذا ما جاءنا، رحلنا معه إلى مستقر نحبه في القبر وفي الآخرة.

وجفت دموعي المنهطلة بعض الشئ، لأجدنى أسأل عن الزاد الذي سيكون لنا في وحشة القبر، فلن ينفع فيه، مالا، ولا ولدا، ولا خليلا ،ولا عزا، ولا نسبا ،ولا فخرا، ويزداد هطول دمعي مرة أخرى؛لافتقاري لزادي، ويصرخ قلبي أغثني يا الله ، وتعود روحي لتجيب مرة أخرى.

"وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)البقرة

ثم جاءت لحظة حمل الجسد؛ لتزيد هيبة الموقف من هيبة لهيبة مقترنة برعشة ينتفض بها القلب، ويصرخ قلبي أنها اللحظة الحاسمة اقتربت، نعم انه موعد القبر، موعد الحساب بين طيات الضيق.

أين كل هؤلاء؟ الجميع سيذهب حيث أتى، وسيبقى الجسد وحيداً بقبره منتظرا عودة الروح وقدوم ملكين موكلان من الله لسؤال عبده، والشاهد في ذلك حديث طويل عن النبي ﷺ، رواه أبو داود وأحمد عن البراء بن عازب قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في جَنَازَةِ رَجُلِ مِنَ الأنْصَارِ فانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمّا يُلْحَدُ فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنّمَا عَلَى رُؤوسِنَا الطّيْرُ وفي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ في الأرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فقالَ: اسْتَعِيذُوا بالله مِنْ عذَابِ الْقَبْرِ مَرّتَيْنِ أَو ثَلاثاً. زَادَ في حَدِيثِ جَرِيرٍ هَهُنَا، وقالَ: وَ إِنّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا مَنْ رَبّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيّكَ. قالَ هَنّادٌ قالَ: وَيأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبّكَ؟ فَيقُول: رَبّيَ الله، فَيقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيقُولُ: دِيني الإسْلاَمُ، فَيقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرّجُلُ الّذِي بُعِثَ

فِيكُمْ؟ قالَ فَيقُولُ: هُوَ رَسُولُ الله ﷺ، فَيقُولانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ الله فآمَنْتُ بِهِ وَصَدّقْتُ. زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ

فَذَلِكَ قَوْلُ الله تَعَالَى. :" يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) إبراهيم.

قال: فيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السّماءِ أَنْ قدْ صَدَقَ عَبْدِي فأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجنّةِ وَ افْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنّةِ. قالَ: فَيأْتِيهِ مِنْ رَوحِهَا وَطِيْبِهَا. قالَ: وَيُفْتَحُ لَهُ فيهَا مَدّ بَصَرِهِ. قالَ: وَإِنّ الْكَافِرَ فَذَكَرَ مَوْتَهُ. قالَ: وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيأْتِيهِ مَلَكَانِ فيُجْلِسَانِهِ، فَيقُولانَ لَهُ: مَنْ رَبّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي؟ فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السّماءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوهُ مِنَ النّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النّارِ وَ افْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النّارِ: قال: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرّهَا وَسَمُومِهَا. قال: وَيُضَيّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتّى تَخْتَلِفَ فيهِ أَضْلاَعُهُ. زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قالَ: ثُمّ يُقَيّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمَ مَعَهُ مِرْزَبَةٌ

مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَاباً. قالَ: فَيَضْرِبُهُ بها ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا ما بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ إلا الثّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَاباً. قالَ: ثُمّ تُعَادُ فيهِ الرّوحُ.

والله أعلم.

فماذا ستجيب في موقفك هذا؟ فوجدتني أدعو لها من قلبي رب ثبتها عند السؤال واجعل لها سعة ونوراً في قبرها وألحقها بالصالحين.

لم ينته الأمر بي عند خروج الجسد من مجلسي، ولكنى وجدت ذاك النحيب الذي بالخارج يزلزلني؛ ليخبرني أن الفراق ما أقساه فراق لا لقاء بعده إلا في عليين، ثم جاءت احدهن واصطحبتني خارج هذه الغرفة لأجلس وسط هذا الحشد، تتوالى برأسي عجائب من أسئلة،

ما هذا نأتي بزفة وضحكات فرح، ونذهب بزفة وصرخات وجع؟، ولماذا؟ أبعد توديع دار الشقاء وجع؟ ألم تكن هذى هي الدنيا التي نتمنى الرحيل عنها لتزول أوجاعنا؟ إذن لماذا كل هذا الصراخ؟؛ وترد روحي أنه فراق الأحبة، أنه فراق من كانوا لنا الأنس والسند بهذي الدنيا بعد الله، ورويداً رويداً أصبح المكان شبه خال لم يبقى إلا المقربين جداً فجداً، وهنا يبدأ نحيب آخر للروح لتصرخ مدوية يا وحشة المكان بلا أحبتنا، وهنا كان الاستعداد لنغادر المكان

وكانت دموعي ما جفت بعد، وكأنها السيل بل سبقت خطو اتي أردد لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

" وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ(٨٨)الأنبياء.

أنها حقا يقظة من ربي، والصحوة انتباه؛ لعل الدنيا كانت قد شغلتنا عن الأمانة؛ التى حملناها، ولولا رحمة ربي لكانت على قلوبنا أقفالا مغلقة، فالحمد لله على نعمائه أن الله أرحم الراحمين ، اللهم أرزقنا حسن الخاتمة.

"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٣) الأحزاب

" إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ(٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ" (٥٥)القمر.

" قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦)الزمر

"رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)البقرة

الخاتمة

انه من خلال تلك السطور السابقة لهذا الكتاب يتضح لنفسك أن إبليس ليس له سلطان عليها ولا حكم، فلولا ما قابل نزغ إبليس هوى في نفسك ما تمكن منك، ولا زلت قدمك، ولكن عليك أن تعود وتفك قيد نفسك من أحبال الشيطان بالتوبة النصوحة التي تزلزل إبليس وتجعله ينتحب حزناً على رجوعك لربك، فالتوبة الخالصة لوجه الله تعالى هى سبيل النجاة، فهي الرجوع إلى الله تعالى، وترك المعصية والندم على فعلها والعزم على عدم العودة إليها عزماً حاسماً لا رجوع ولا نكوث فيه. والتوبة واجبة على كل مسلم من جميع الذنوب، كبيرة كانت أو صغيرة.

امتثالا لقوله تعالى" وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) النور.

فآدم أبو البشر يخدعه الشيطان؛ فيستجيب لإغوائه، ثم يتذكر معصيته لربه فيتوب إليه.

قال تعالى: "فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) البقرة.

وهذا نبي الله موسى -عليه السلام- يسارع إلى التوبة من فعلته وتجرئه على ربه، قال تعالى" وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) الأعراف

وهذا نبي الله يونس يجأر بالتوبة إلى خالقه ومولاه، قال تعالى:" وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) الأنبياء.

روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له.

والتوبة أمر واجب على كل مؤمن، في كل حال، ومن كل ذنب. والتائب يحبه الله، والتوبة من أسباب الفلاح في الدنيا والنعيم بالأخرة، وأن الله يقبل التوبة من عبادة ويتجاوز عن الذنوب مهما عظمت.

التوبة في القرآن الكريم

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

" قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) الزمر

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ (سورة البقرة)

قال الله في القرآن الكريم: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾ (سورة النصر)

قال الله في القرآن الكريم: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)﴾ (سورة البقرة)

قال الله في القرآن الكريم: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١٦) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا

حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)﴾ النساء)

شروط التوبة

يشترط في التوبة عدة أمور هي :

•الندم على فعل المعصية، حتى يحزن على فعلها ويتمنى لو لم يفعلها.

•الإقلاع عن المعصية فورا، فان كانت في حق الله تركها، وإن كانت في حق المخلوق تحلل من صاحبها، ويكون ذلك بردها إليه أو بطلب المسامحة منه.

•العزم على أن لا يعود إلى تلك المعصية مستقبلا.

فضل التوبة

للتوبة فضائل عظيمة، تعود على الإنسان بالخير في الدنيا والآخرة منها:

•محبة الله للتائب.

•تزكية النفس:

•سعة الرزق

•رفع البلاء عن الناس بالتوبة.

•التوبة تجلب الراح النفسية للتائب و أيضا الطمأنينة

وبذك تعود إلى ربك مطمئنا محاطا بحفظه ومصحوبا بمعيته وتكون عند الموت ممن قال فيهم الله تعالى

" يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) الفجر

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ"

الفهـرس

مقدمة بقلم الشيخ / فكري حسن اسماعيل	٥
المقدمة.	٧
تمهيد.	٩
الفصل الأول:- خطيئة ادم	١٣
الفصل الثاني :- قابيل وهابيل	٢٣
الفصل الثالث :- إخوة يوسف	٣١
الفصل الر ابع :-إبليس وامرأة العزيز	٣٨
الفصل الخامس :- إبليس والنفس البشرية	٤٤
الفصل السادس :- عابد بني إسر ائيل "برصيصا " و إبليس	٥٣
الفصل السابع :-مو اقف لبني إسر ائيل كسواعد للشيطان	٥٨
الفصل الثامن: غاية الشيطان وأهدافه	٨٢
الفصل التاسع :- تقوى الله	٩٨
الفصل العاشر:- صحوة قلب	١١٢
الفصل الحادي:- مجاهدة النفس سبيل النجاة	١٢٠
الخاتمة .	١٢٩
الفهرس	١٣٤

سـيرة ذاتية للكاتبـة

الاسم: جيهان محمد عجلان

العنوان : محافظة القليوبية أبوزعبل

المؤهل : ليسانس حقوق – تمهيدي ماجستير شريعة جامعة القاهرة

دبلوم دراسات عربية وإسلامية كلية دارعلوم جامعة القاهرة

للتواصل مع الكاتبة على صفحة الفيسبوك:

https://www.facebook.com/alnagm.althaar.7

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية و أفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017